19 me. année No 922

Le Caire 4 - 3 - 1951

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٢٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ — ٤ مارس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة»

حول مشكلة اللاجئين !

قلت مرة إننى كفرت بالضمير الإنسانى، كفرت به حين كفر هو بكل وشيجة من وشائج الإنسانية، وكل خليقة من خلائق الأحياء، حين تكون هذه الخلائق مجموعة من المشاعر والأحاسيس ... مشاعر الدم الواحد والأمة الواحدة والتقاليد الواحدة، وأحاسيس الأخوة والمروءة والجوار !

قلت هذا فاعترض بعض الناس، وحجتهم أن الضمير الإنسانى لا يزال بخير، فى هذه البقاع الطيبة التى عنيتها بكلمات رسبت فى نفسى رسوب اليقين ... هم ينظرون إلى الجزء وأنظر أنا إلى الكل، ويحكمون فى ضوء الفرد وأحكم أنا فى ضوء المجموع، ويتكلمون عن الضمير الإنسانى من زاوية ضيقة ينحصر فيها فلان وفلان من عشاق الخير وصناع الجميل، وأتكلم أنا عن الضمير الإنسانى فى صورته الكاملة الشاملة التى تمنى أكبر عدد من الناس فى أكبر عدد من أقطار المروءة !

إن الضمير الإنسانى فى هذه البقاع الطيبة وبهذا المعنى الذى رميت إليه قد مات ... ولو كان حياً لما سمح لنفسه أن يطيق منظر الموت البشع وهو يحصد بمنجله الرهيب جموعاً من الأحياء شردهم الظلم والطغيان فهاموا على وجوههم فى كل واد وكل فلاة: بطونهم خاوية، وأجسادهم عارية، بينما شبعت الكلاب واكتست الأضرحة واطمأنت إلى المأوى الأمين أخس أنواع الحشرات !

وأتطلع إلى هؤلاء المشردين الذين أضناهم البرد وقتلهم الجوع ولفح شعورهم الهوان، ثم أتذكر أن هناك غيرهم ممن أنعشهم الدفء وضاقت بطونهم بالتخمة وامتلأت نفوسهم بالأمان ... أتطلع إلى هؤلاء وأولئك ثم أخرج من جولة الفكر وفورة الأسى بهذه الحقيقة، وهى أننى لا أملك فى الحياة غير هذا القلم ! وماذا يجدى القلم يارب وهناك من ينتظر الثوب الذى يستر الجسد، واللقمة التى ترد عادية الجوع، والقطرة التى ترطب حرارة الظمأ، والوطن الذى يشعر بكرامة الحى ويعبر عن جمال الحياة ؟!

وماذا يصنع القلم وهو لا يجد ما يهديه إلى هؤلاء الجياع العراة غير هذه القروش الفكرية ؟! ومن يخاطب وقد مات الضمير الإنسانى عند حراس الخزائن وملاك الضياع وسكان القصور ؟ ! إننا لا ندعو إلى الشيوعية ولكننا ندعو إلى الإنسانية ... الإنسانية التى تصرخ فى وجه هؤلاء جميعاً بأن فى أموالهم حقاً لكل فقير وكل جائع وكل محروم، وتقول لكل واحد منهم فى همسة إن لم تكن جازعة فهى ضارعة: تنكر لفئتك إذا شئت، ولعروبتك إذا أردت، ولقوميتك إذا أحببت؛ ولكن ... ولكن لا تنس أنك إنسان !

إنها قروش فكرية كما قلت، وحسبى حين أجود بها أننى أجود بخلجات النفس وخفقات القلب ودفقات الوجدان. حسبى هذا، وحسب اللاجئين أن يتقبلوها على أنها نفحة من نفحات الألم، فيها من مشاركة الشعور ما يقوم مقام العزاء، حين يضيع كل أمل فى الضمير الإنسانى ... ويخيب كل رجاء !

أ. م

اسمعي يا مصر!

لفضيلة الأستاذ أبي الحسن على الحسني الندوي
نائب معتمد دار العلوم بندوة العلماء بلكهنو بالهند

أحييك يا مصر بتحية السلام وأحيي فيك الزعامة للعالم العربي . الزعامة التي كانت عن جدارة واستحقاق ، لاعن احتكار واغتصاب ، وإنك تحلين اليوم في العالم العربي محل السمع والبصر ، ومحل العقل والفكر ، رضى به الناس أم لم يرضوا ، ولكن الواقع لا ينكر

أحيي فيك يا مصر نفاق سوق العلم ورواج بضاعة الأدب ، وتقدير رجال العلم والفن ، فقد أنجبتهم واحتضنتهم ودافعت عنهم ، وحدبت عليهم ، فهم أبناؤك البررة وأنت الأم الحنون

أحيي فيك الأزهر الشريف الذي كان ولا يزال المنهل المورود في الدين والعلم للعالم الإسلامي ، والذي لا يضارعه ولا يزاحمه في تقدم السن وطول العمر وامتداد الظل وكثرة الإنتاج معهد أو جامعة على وجه الأرض

أحيي فيك المكتبة العربية التي فاضت وامتدت كالنيل وأصدرت كتباً ومطبوعات عربية لو وضع بعضها فوق بعض لكانت مثل الأهرام أو أرفع

أحيي فيك غيرتك على اللغة العربية وجهادك في إحيائها ونشرها ورفع شأنها وتوسيعها حتى أصبحت بجهود أدبائك وكتابك ، وبفضل الصحافة المصرية والحياة السياسية ، وبفضل حركة التأليف والترجمة والنشر ، وبفضل المجمع اللغوي ؛ لغة راقية عصرية علمية سياسية فنية لا تقل في غزارة مادتها وقابليتها لتعليم العلوم العصرية والطبيعية والرياضية عن أي لغة من لغات الغرب

أحيي فيك عدداً مشرقاً من الأدباء والكتاب ، فيهم الكاتب المبدع ، والترسل القدير ، والأديب الفنان ، والباحث الناقد ، والعالم الضليع ، والمؤرخ الأمين ، والفيلسوف الحكيم ، والمحدث اللبق ، والروائي المصور ، والمتهكم اللاذع ، والمضحك المطرب ، والمصلح المنتقد ، والشاعر المطبوع ، والسياسي المناقش ، والصحافي البارع ، إذا كتب أحدهم في موضوع ردد العالم العربي صداه ، وافتخر المتأدبون بتقليد أسلوبه والنسج على منواله ، واحتجوا به كما يحتج بشعر القدماء

أحيي فيك يا مصر هذا وغير هذا ، ولكن لي معك اليوم شأناً آخر . إن لي معك كلاماً أرجو أن تلقي إليه سمعك وتشهديه قلبك فأنا ضيف قد نزل بك ، ومن حسن الوفادة وتمام الضيافة الاستماع إلى كلام الضيف والإقبال عليه بالسمع والقلب

إن مسئوليتك يا مصر أوسع وأعظم من تأدية رسالة الأدب وخدمة لغة العرب ، وما تجودين على الأقطار العربية الشقيقة برشحات الثقافة الأوربية وفتات المدنية الغربية . إنك بين آسيا وأوربا فأنت ملتقى الثقافتين ومجمع البحرين . إنك وسط بين مهد الإسلام ومشرق نوره ؛ وبين مولد الحضارة الغربية ومبعث العلوم العصرية ، فعليك مسئولية القارتين ، وعندك رسالة الثقافتين

فأما مسئولية آسيا والأقطار العربية فلا تخرجين منها يا مصر حتى تكوني قنطرة تعبر عليها إلى البلاد العربية تجارب أوربا وعلومها ونشاطها وكدحها في الحياة وجهادها للبقاء ، هنالك تقومين برسالتك ووظيفتك لهذه البلاد العزيزة التي ترتبطين بها رابطة دينية وروحية وثقافية وسياسية

وأما مسئولية أوربا فلا تخرجين منها حتى تبلغي رسالة الجزيرة العربية — وهي الإسلام الذي احتضنته من زمان — إلى أوربا ، وحل المشاكل التي أعيت كبار المفكرين وأتعبت عظماء المشرعين ، وبذلك تؤدين واجبك المقدس نحو هذه القارة الأوربية التي استوردت منها شيئاً كثيراً من العلم والمصنوعات والمنتجات ، ونظمت عليها مدنيتك وحياتك تنظيما جديداً ، وتحسنين إليها أكثر مما أحسنت إليك وتصدرين إليها أفضل مما صدرت إليك

إنك يا مصر قد بنيت القناطر الخيرية فانتظم الري وازدهرت الزراعة وأخصبت البلاد ؛ وأريد أن تبني قنطرة خيرية أخرى هي أكبر القناطر في العالم وأنفعها ، تصل بين بحرين لم يزالا منفصلين ، وبين حضارتين لم تزالا متنافستين ، وبانفصالهما وتنافسهما شقي العصر الجديد ، فلو أنك وصلت بينهما وكنت قنطرة تتبادل بها القارتان خيراتهما ومحاسنهما ؛ وفرت على الإنسانية جهوداً وأوقاتاً كثيرة وصنتها من الضياع كما أن قناطرك الخيرية وفرت على مصر مياها كثيرة ونظمت أمر الري

لقد كان حفر قنال السويس أكبر حادث فى التاريخ المصرى غير مجرى التاريخ وأحدث انقلابا فى السياسة والتجارة؛ ولكن من يستطيع أن ينكر أن شقاء الأمم الشرقية كان أعظم وأعظم من سعادتها، وأنها لم تجن من السويس إلا عبودية واستعماراً . والعالم الآن فى حاجة إلى قنال آخر، قنال التعارف الصحيح والتبادل المتوازن، وإليك وحدك يامصر، القيام بهذه المبرة العظيمة لمكانك الجغرافى وأهميتك السياسية وثروتك الثقافية ومركزك الروحى . تعلمين أن دولة لا تتزن ميزانيتها ولا تتحسن أحوالها الاقتصادية إلا إذا وجد توازن بين حركة التصدير والتوريد، أو كان تصديرها أكثر من توريدها، ولكننا فى الشرق نورد أكثر مما نصدر، وكان السويس أكبر مطية من مطايا هذا التوريد، فلا نريد قنطرة أو قنالا يكون معبر البضائع الأجنبية من أفكار وآراء وفلسفات وأخلاق إلى أعماق الشرق وأحشائه، بل نريد قنالا يساوى بين التوريد والتصدير، ويصدر أفضل ما عند الشرق الإسلامى من رسالة وعقيدة وخلق وعلم، ويورد أحسن ما عند الغرب من منتجات ومصنوعات وتجارب واكتشافات ومرافق الحياة، فكونى يا مصر ذلك القنال الأمين العادل الذى لا يسمح بالمرور إلا للصالح الفاضل

إن لك يامصر يدين، تأخذى من الغرب ما فاق فيه من علم وتجربة فالحكمة ضالة المؤمن، ومدى إليه يدا أخرى، يد المساعدة والكرم، وجودى عليه بما أنعم الله عليك من نعمة الإيمان وشرف الإسلام فذلك الذى لا يملكه الغرب ولا يستغنى فيه عنك، وقد انتهى به إفلاسه فيه إلى ما ترين من فوضى وانحلال، فتصدق عليه بهذا الإيمان ورسالة الروح، ولا تنسى أبداً أن اليد العليا خير من اليد السفلى

كونى يا مصر رسول الإسلام إلى الغرب، واحملى إليه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، تلك الرسالة التى حملها العرب إلى الأمة الرومية والأمة الفارسية فأنقذتهما من مخالب الموت وأفاضت عليهما ثوباً قشيباً من الحياة ولونا جديداً من النشاط، وليس الغرب أقل حاجة إلى هذه الرسالة وهو فى دور التفكك وتنازع الموت والحياة من الأمة الرومية والفارسية إليها . وقديماً اختار الملوك وأصحاب الرسالة السماوية رسلا من عشيرتهم والأقربين إليهم، ولك من إبراهيم وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم رحم ماسة وقرابة خاصة ليست لقطر من الأقطار الإسلامية بعد الجزيرة العربية

إن أوربا قد شاخت ونضجت كالفاكهة التى أدركت وضعف الغصن عن حملها، فاستعدى يا مصر الإسلامية لتحلى محلها فى الزعامة العالمية وقيادة الأمم، وما ذلك بعزيز ولا بمستحيل، إذا تم استعدادك الروحى والخلقى والمادى . وإذا كانت أوربا قد احتفظت بالقيادة العالمية هذه المدة الطويلة وليست عندها رسالة عامة للإنسانية ولا دعوة مخلصة لأمم العالم وعندها كل ما يضعف ثقة العالم بها من وطنية وعنصرية وتقديس للنسل الآرى وإدلال باللون الأبيض ونزعة تجارية واستعمار، فكيف لا يرضى العالم بقيادتك وعندك الرسالة التى تضمن سعادة العالم كله، ودين لا يفرق بين الأوطان والعناصر والألوان ؟

احرصى يا مصر على رجولة أبنائك وأخلاقهم، وصونى شبابهم وشرفهم ودينهم وصحتهم من أن يعبث بها العابثون أو يتجر بها المتجرون ممن يعيشون على أثمان الأعراض والأخلاق، ويحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لتروج بضاعتهم، وتزدهر تجارتهم، أولئك هم أصحاب الروايات الخليعة والصور العارية والأدب المكشوف، فإنك يا مصر فى محل الزعامة والقيادة للشرق الأوسط وفى طريقك إلى الزعامة والقيادة للعالم الإسلامى، ولا تأتى الزعامة والسيادة إلا بعد الاستقامة والثبات فى مزالق الإنسان، والنجاح البارز فى امتحان العفة وطهارة الأخلاق، واذكرى قصة يوسف التى مرت على أرضك، ووقعت بين سمعك وبصرك، كيف ثبت فى الامتحان وكيف حافظ على دينه وعفته، فكانت نتيجة ذلك الثقة والاعتماد والسيادة والملك، واقرإى إن شئت «وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين»؛ بل ولا حياة ولا شرف إلا بالرجولة والأخلاق، فكيف وأنت فى ميدان القتال وساحة الجهاد فلابد أن تحتفظى وصية قائدك الكبير سيدنا عمرو بن العاص وتذكرى ما قال لخلفائه فى أرضك «واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم وتشوف قلوبهم إليكم وإلى داركم»

فكافحى يا مصر الوباء الخلقى الذى يقضى على حيوية الأمة أشد مما تكافحين وباء الكوليرا الذى يقضى على حياة بعض الأفراد!

وطاردى كل من يحاول أن يزعزع العقيدة فى شعبك ، ويزلزل الإيمان ويفسد الخلق ، أشد مما تطاردين من ينشر الوباء أو يسبب الأمراض أو ينقل إلى أرضك الكروب ، فلم نسمع أن الأمة الرومية العظيمة ماتت وبادت بسبب وباء أو مرض، وأن اليونان اجتاحهم مرض من الأمراض ، ولكنا قرأنا فى التاريخ وشهدت أنت أن هذه الأمم كانت كلها فريسة التفسخ الخلقى والأمراض الاجتماعية ، فاحذرى يا مصر — صانك الله وحرسك — هذا المصير المؤلم

إن العالم العربى قد أحلك يا مصر من نفسه محلا رفيعاً ووضع ثقته فيك وفتح لك أذنيه وعينيه ، فاتقى الله يا مصر فيمن ائتمنك ووثق بك فى نفسه وعقله ، ولا تصدرى إليه من أدبك ومطبوعاتك ما يرزأه فى إيمانه وأخلاقه وقوته المعنوية وروحه ، كما لا ترضين ولا ترضى كرامتك ومروءتك أن تصدرى إلى زبائنك من الدول والبلاد الحبوب المسمومة والفواكه الموبوءة ولا تقبلين أن يصدرها إليك أحد ، وصدقينى يا مصر العزيزة أن هذه الروايات الخليعة والأدب الماجن أفسد وأضر للأمة والحياة من الحبوب المسمومة والفواكه الموبوءة . انك زعيمة للعالم العربى فلا تغلبنك النزعة التجارية ولا تغرنك المنافع المؤقتة ، فلا يكون زعيما ولا يكون عظيما من يؤثر العاجل على الآجل ، والمنفعة الفردية على المنفعة الاجتماعية ، والأثرة على الإيثار

إنك يا مصر من أغنى بلاد الله ، ولست أعنى بالغنى خصب الأرض وكثرة الوارد ، وإنك لغنية فيها من غير شك ، ولكنى أعنى غناك فى المواد الخامة وهى الشعب الذى توفرت فيه المواهب والقوى ، خصوصاً ما يسكن منه فى أريافك، فهى المناجم التى لا تزال مدفونة، والمعادن التى لم تستخرج بعد ، هذا الشعب قوى الإيمان قوى الشخصية ، قوى الجسم ، فلو أنك أحسنت تعليمه وتربيته وأفدت من هذا الإيمان ووضعته فى محله لكان حارسك الأمين وجندك القوى وثروتك العظيمة

قد اختار الله لك يا مصر قارة من أوسع القارات وأكثرها مواد خامة هى القارة الإفريقية ولا يزال جزء كبير منها على سذاجته وفطرته ، ولا تزال فيها أمم على الجاهلية والوثنية ، وعلى الجهالة والضلالة، ولا تزال فيها أمم كاللوح الصافى يكتب الإنسان فيه ما يشاء ، وهذه الأجزاء من القارة وهذه الأمم خير حقل لجهودك وتربيتك، وخير أرض لزراعتك وغرسك ، فأرسلى إليها دعاتك المبشرين ورجالك المصلحين ، وعلماءك المرشدين وأبناءك المثقفين، يبلغونهم الدين ويتلون عليهم آيات الله ويعلمونهم الكتاب والحكمة ، وبذلك تنقذين بإذن الله نفوساً كثيرة من النار، وتخرجينها من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، وتكتسبين قلوباً نقية وأرواحاً فتية وأجساماً قوية، ويكون ذلك خيراً لك من هذه الأمم والدول الغربية التى تخطبين ودها وتحرصين على صداقتها ، وهى لا تدوم على حال بل تجرى وتدور مع أغراضها المادية ومصالحها السياسية ؛ فيوماً هى معك ويوماً مع أعدائك ، وإذا كانت معك لم تكن بإخلاص وصدق ، وإنما هى المطامع والمصالح. وما أضعف الصداقة التى تقوم على المطامع والأغراض !

وأخيراً أريد أن أقول فى أذنك يا مصر إن لله فى خلقه شؤونا وأنه أعظم غيرة من كل غيور وأنه لا يعطى نعمة دينه إلا من يعظمها ويجلها ويقدرها حق قدرها ، فإذا رأى منك استغناء عن الدين وما ينبئ عن احتقار لشأنه واستصغار لأمره وزهداً فى الإسلام ، وانصرافاً عن خدمته وتقصيراً فى أداء رسالته واعتزازاً لمبدإ غير الإسلام وتشرفاً بغير محمد عليه الصلاة والسلام استغنى عنك — على ما ترك السابقة وثروتك الضخمة ومدنيتك الفخمة — «سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» وجاء لخدمة الإسلام وقيادة الأمم الإسلامية بأمة لم تخطر منك على بال تعتز بالدين وحده وتتشرف برسالة الإسلام وتتشبع بحب محمد عليه الصلاة والسلام وتلتهب غيرة دينية وحماسة إسلامية وتجاهد فى سبيل الله ولا تخاف لومة لائم ، وإن الله تعالى حذر العرب الأولين وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » وقال للمسلمين العرب « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ولله جنود السماوات والأرض ، وفى كنانة الإسلام سهام لم يرها أحد ولا تخرج إلا فى وقتها . ومن يدرى فلعل شمس الإسلام تطلع من الشرق وهذه أمم إسلامية فتية على سواحل المحيط الهندى وفى جزره تتحفز للوثوب وتتهيأ لقيادة العالم الإسلامى ، فاحتفظى يا مصر العربية بمكانتك ومجدك ولا تأمنى دورة الأيام ولا تأمنى

مكر الله « فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون »

هذه تحيتى إليك يا مصر العزيزة فتقبلها ، وهذه آمالنا فيك فحققها ، وكلمة مرة فى الأخير فتحملها ، وهذه معذرتى إليك فاقبلها ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

أبو الحسن على الحسنى الندوى

(نزيل مصر) القاهرة

أدب الشتاء

للأستاذ محمد سيد كيلانى

حتى إذا ما أبلى الشتاء جاءتك منه غمة غماء
« ابن وكيع التنيسى »

يعانى الناس فى فصل الشتاء كثيراً من الأهوال والشدائد . وقد كان شعور القدماء بهذه الشدائد أعظم وبخاصة الفقراء منهم . وسكان الأرياف ما زالوا يلاقون من بلاء الشتاء ما كان يلاقيه أسلافهم من قبل . لذلك اعتبروه عدواً لدوداً وخصماً عنيفاً . وشبهوه بجيش جرار أغار عليهم بعساكره مشاة وفرساناً . فعواصف وأنواء ، ورياح وزوابع ، وأمطار وسيول ، وغيوم بعضها فوق بعض ، وبرق ورعد ، وبرد وثلج . قال القاضى التنوخى :

أما ترى البرد قد وافت عساكره
وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت ضريب الثلج تحسبها
قد ألبست حبكا أو غشيت ورقا

* * *

وقد تبارى الشعراء والكتاب فى وصف مظاهر الطبيعة فى هذا الفصل واخترعوا المعانى الجميلة وأتوا بالصور الرائعة ، ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا قالوا فيها شعراً ونثراً . قال أبو تمام وهو بخراسان :

ما للشتاء ولا للصيف من مثل
يرضى به السمع إلا الجود والبخل
أما ترى الأرض غضبى والحصى قلقا
والأفق بالحرجف النكباء يقتتل
من يزعم الصيف لم تذهب بشاشته
فغير ذلك أمسى يزعم الجبل
غدا له مغفر فى رأسه يقق
لا تهتك البيض فوديه ولا الأسل

فالشاعر هنا قد شخص الطبيعة وأضفى عليها ثوباً من الحياة والنشاط ؛ فالأرض هائجة ساخطة ، والحصى لا يستقر على حال فهو دائم الاضطراب ، والأفق يتضارب برياح عاتية ، والجبال قد اكتست بطبقات كثيفة من الثلوج . ثم حدثنا أبو تمام عن أثر البرد فى الضلوع والأحشاء والكلى . وكان قد عانى من أهواله بلاء كبيراً . قال :

من كان يجهل منه جد سورته ... فى القريتين وأمر الحق مكتهل
فما الضلوع ولا الأحشاء جاهلة ... ولا الكلى أنه القدامة البطل

وقد بلغ شعور أبى تمام بشدة البرد أنه بكى على ذهاب الصيف بكاء مراً . قال :

عدل من الدمع أن يبكى المصيف كما
يبكى الشباب ويبكى اللهو والغزل

وقد كانت رحلته إلى خراسان دافعاً له على وصف مظاهر الطبيعة القاسية فى هذا الفصل . وقد شبه الشتاء بحيوان قوى مخيف وادعى أن ممدوحه ضرب هـذا الحيوان ضربة فلت من غربه وكسرت من حدته ، وجعلته ذلولا سلس القياد ، قال :

فضربت الشتاء فى أخدعيه ... ضربة غادرته قوداً ركوبا

* * *

ووجد الشعراء والكتاب فى الأمطار والسيول مجالا للقول ، وميداناً فيه يتسابقون ويأتون بكل معنى طريف . وقد صور لنا ابن الرومى ما فعلته به الأمطار وهو سائر فى الطريق فقال :

لقيت من البر التباريح بعدما
لقيت من البحر ابيضاض الذوائب
سقيت على رى به ألف مرة
شرقت لبغضيها بحب الجادب
إلى الله أشكو سخف دهرى فإنه
يعابثنى ـ مذ كنت ـ غير مطايب ،

أبى أن يغيث الأرض حتى إذا ارتمت

برحلى أتاها بالغيوث السواكب

سقى الأرض من أجلى فأضحت مزلة

تمايل صاحبها تمايل شارب

واستمر الشاعر فى هـذه القصيدة فصور لنا حاله وقد بللته الأمطار حتى أصبح كالغريق . وذكر لنا أنه التجأ إلى خان ليستريح من بلاء هذا المطر الغزير وليظفر بالدفء . ولكنه لم يجد بغيته فى هـذا الخان لأن الأمطار قد أتلفته وجعلته عرضة للسقوط . فقضى به ليلة فى خوف وجوع ، إذ كان سقف الخان قد أثقلته مياه الأمطار فأضحى مبعثا للرعب بصريره الذى يشبه صرير الجنادب . ولما انقطعت الأمطار هبت ريح صرصر عاتية حثت التراب والحصى فى الوجوه . وهكذا أصبحت الحياة كما صورها ابن الوردى جحيما لا يطاق . وفى هذه القصيدة من الألم والتبرم والسخط ما لا يخفى . فالشاعر يشكو مر الشكوى من دهره الذى يعبث به ويسومه عذاب الهون

وقد تبارى أدباء الشام فى وصف ما أحدثته الأمطار والسيول ببلادهم ، وما سببته من الخسائر والتلف فى الزرع والضرع ، وما فعلته فى الطرق من التخريب والتدمير ، وما ترتب على ذلك من سوء الأحوال الاقتصادية والصحية ، وما تعرض له الناس من الهلاك . فانظر إلى هذه الصورة المؤثرة وهى من رسالة لأحد الكتاب : « .. أما المساكن فأهلها مساكين ، وأفواههم من الحزن مطبقة فما تفتحها السكاكين . قد انتبذ كل منهم زاوية من داره ، وتداخل بعضه فى بعض لتضمه بقعة على مقداره ، هربا من توقيع أكف الوكف ، وخوفا من ركوع الجدار وسجود السقف »

وقال ابن المقرى :

رويناً فما نزداد يارب من حيا وأنت على ما فى النفوس شهيد

سقوف ابيتى صرن أرضاً أدوسها وحيطان يبقى ركع وسجود

فالناس فى الشتاء كانوا عرضة للهلاك . فربما فاجأتهم الأمطار الغزيرة فى أثناء سفرهم وقطعت عليهم الطرق وتعذر على القوافل السير فيتلفهم الجوع والبرد ويموت أكثرهم من جراء هـذا . والمقيمون فى المدن لا يخلون من شر الأمطار . فربما خرت عليهم سقوف المنازل فجأة وهم نائمون فيقضى عليهم . وقد يحبسون فى دورهم أياما حتى تجف الطرق وتصلح ، فلا عجب إذا ساءت أحوال المعيشة إلى حد كبير . وقد ظهر أثر هذا فى الأدب بشكل واضح ، فرأينا أدبا لحمته وسداه السخط والتبرم بالحياة . أما المتصوفة فرأوا فى هذه الأمطار والسيول عقوبة إلهية امتحن الله بها الناس لعصيانهم وابتعادهم عن الصراط المستقيم . وفي ذلك يقول ابن الوردى :

إن المصائب بالأقدار كائنة

لكن على حسب الأقدار تحتسب

عجبت منى ومن غيرى تشوقنا

إلى ازدياد حياة كلها تعب

وإن دهنا بسيل أو بنوع أذى

كالنار والثلج قلنا ما هو السبب

أقسمت بالله لولا حلم خالقنا

لكان من عشر ما نأتى به العطب

ودهرنا أى دهر فى تقلبه

قد مات فيه التقى والعلم والأدب

فالمتصوفة كانوا يتخذون من هـذه الأمطار الغزيرة التى يبتلى بها الناس فى هذا الفصل وسيلة للوعظ والإرشاد ، والنصح والتحذير

* * *

ووصفوا الغيوم وما تحدثه فى الجو حين تحجب الشمس والقمر والنجوم . وأتوا فى ذلك بكثير من الصور والمعانى الجيلة . قال أحد الشعراء :

لا يوحش الله من شئ يقال له شمس النهار فما تبدو ولم تعد

أما النجوم فشئ كان فى زمن مضى حميدا فقد ولى ولم يعد

وهذا من المبالغات العجيبة . فالشاعر هنا يتحدث عن شئ يقال له الشمس وعن شئ يقال له النجوم . وذلك لأن الناس لطول عهدهم بالغيوم أضحوا لا يعرفون من أمر هذه الكواكب قليلا أو كثيرا

وهـذا شاعر يصور النجوم حين تظهر من خلال الغيوم فيقول :

ولقد ذكرتك والنجوم كأنها در على أرض من الفيروزج

يلمعن من خلل السحاب كأنها　　شرر تطاير من يبيس العرفج
والأفق أحلك من خواطر كاسب　　بالشعر يستجدى اللئام ويرتجى

لقد تنافس الشعراء والكتاب في اختراع الأوصاف والتشبيهات، وصوروا هذه الظاهرة الطبيعية تصويرا لا تنقصه ريشة الفنان الموهوب . انظر إلى هذا الشاعر حين يقول :

والبدر يستر بالغيوم وينجلي　　كتنفس الحسناء في مرآتها

* * *

وكانوا ينتهزون فرصة تلبد الجو بالغيوم ويجعلون من هذا وقتاً مناسباً للهو والعربدة، فيعقدون مجالس الخمر والغناء . وتلك عادة عرفت عند العرب منذ العصر الجاهلي . قال طرفة

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمد

وقال الصنوبري :

الجو بين مضمخ ومضرج　　والأرض بين مزخرف ومدبج
والثلج يهطل كالنثار فقم بنا　　نلهو بربة كرمة لم تمزج
ضحك النهار وبان حسن شقائق　　وزهت غصون الورد بين بنفسج
فكأن يومك من غلالة فضة　　والنور من ذهب على فيروزج

والشواهد على ذلك كثيرة . ومنها نرى أنهم كانوا في أوقات الغيوم والأمطار ينشطون لتعاطي الشراب وسماع الغناء . ولا يخفى أنه عقب سقوط الأمطار تصفو الطبيعة صفاء تاما وترق إلى حد بعيد، فتستولي على الإنسان مشاعر خاصة لما يرى من مظاهر الجمال الطبيعي في الكون ويمتزج بالطبيعة امتزاجا كليا . وكأنه بتعاطي الخمر وسماع الغناء يريد أن يشارك الكون في الصفاء

* * *

ووصفوا البرد وشبهوه بالدر . قال ابن حديس الصقلي

نثر الجو على الأرض برد　　أي در لنحور لو جمد
لؤلؤ أصدافه السحب التي　　أنجز البارق منها ما وعد
منحته عاريا من نكد　　واكتساب الدر بالغوص نكد
ذوبته من سماء أدمع　　فوق أرض تتلقاه نجد
فجرت منه سيول حولنا　　كثعابين عجال تطرد

وهذه القصيدة الطويلة تعتبر من عيون شعر ابن حديس في الوصف . وذلك لما حوته من الصور الرائعة والأوصاف الجميلة والمعاني اللطيفة . فقد وقف الشاعر أمام البرد وأطال الوقوف . فالبرد لو جمد لصار كالدر الجميل الذي تتزين به نحور الحسان . وهو كاللؤلؤ . وإذا استقر على الأرض وذاب تكونت منه سيول ملتوية كالثعابين التي تزحف مسرعة هربا ممن يطاردها

وقد تناول ابن خفاجة الأندلسي البرد في شعره فقال :

يارب قطر جامد حلى به　　نحر الثرى برد تحدر صائب
حصب الأباطح منه ماء جامد　　فشى البلاد به عذاب ذائب
فالأرض تضحك عن قلائد أنجم　　نثرت بها والجو جهم قاطب
فكأنما زنت البسيطة تحته　　فأكب يرجمها الغمام الحاصب

لم يقف ابن خفاجة أمام البرد طويلا كما وقف ابن حديس . فهو عنده حلية لنحر الثرى أو قلائد من النجوم . ثم نظر إلى ما أصاب الناس من جراء سقوط هذا البرد . ثم أتى بصورة دينية فشبه الأرض بامرأة ارتكبت فاحشة فما كان من الغمام إلا أن أقام عليها حد الرجم، وأرسل عليها حاصبا من البرد . فالفرق واضح بين نظرة ابن حديس للبرد ونظرة ابن خفاجة . فابن حديس أعجب بمنظر البرد فوقف يصور لنا ببيانه صورة شعرية جميلة . أما ابن خفاجة فاعتبر البرد نقمة وعقابا وقمته الغيوم على الأرض

* * *

ووصفوا تساقط الثلوج على الأشجار والزروع، وجاءوا في ذلك بصور لطيفة جميلة . ومثال ذلك قول أحدهم :

نظرت إلى أشجار جلق فوقها　　ثلوج أراها بالبروق تلوح
فمن بينها قضبان فضة اكتست　　وقابلها عند الغداة صبوح
ومن تحتها الأوراق خضر كأنها　　زمردة تغدو بنا وتروح
ومن بينها النارنج كالذهب الذي　　هواه به كل النفوس تبوح

فانظر إلى هذا المصور الماهر الذي أمسك ريشته وراح يضفي الألوان المناسبة على كل جزء من أجزاء تلك الصورة . فالنارنج كالذهب، والأوراق الخضر كالزمرد، والأغصان كقضبان من الفضة

* * *

ووصفوا الرعد والبرق . فتراهم أحيانا يشبهون الرعد بامرأة ثاكلة نادبة . وأحيانا يشبهونه بالأسد حين يزأر مهددا بالويل والثبور . ويشبهون وميض البرق بالضحك، أو بالسيوف، أو

بشريط من الذهب . وقد شبه ابن حمد يس الرعد بالحادى يسوق الغمام أمامه كما تساق الإبل . قال :

أرق الأجفان رعد صوته   كهدير القرم فى الشول صفد
بات يجتاز بأبكار الحيا   بلدا يرويه من بعد بلد
فهو كالحادى روايا إن ونت   فى السرى صاح عليها وجلد

* * *

وقد تناول أحدهم التقلبات الجوية فيشبهها بأخلاق الملوك التى لا تدوم على حال . ومثال ذلك قول القائل :

ويوم كأخلاق الملوك ملون   فصحو ودجن ثم طل ووابل
كذلك أخلاق الملوك محبة   وبغض ومنع بين ذاك ونائل

وهكذا نجد عوامل الطبيعة فى الشتاء تحرك الخواطر ، وتفتق الأذهان ، وتثير فى النفس الإحساس الكامن والشعور فتزداد صلة الإنسان بالكون . وكانت هذه المظاهر الطبيعية المختلفة وحيا للشعراء والكتاب ، وقد وجدوا فيها ميدانا خصبا فأضافوا إلى الأدب الوصفى ثروة طائلة

« يتبع »   محمد سيد كيلانى

أم عمـــــارة . . .

« ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ! ! »
محمد رسول الله

للأستاذ محمد محمود زيتون

(١)

امرأة عربية مسلمة من طراز نادر ، يحق للمرأة الحديثة أن تقف طويلا على معالم حياتها ، وتتأمل مشاهد جهادها ، وتتبصر عوامل العظمة التى جعلت منها عضوا بارزا فى سجل الخلود

تلك هى أم عمارة : نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار ، وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها حبيب وعبد الله

كان لأم عمارة مؤهلات المجد والكمال ، ومستندات الحسب والنسب ، فهى من بنى النجار ، وما أدراك من بنو النجار !

بنو النجار أخوال محمد رسول الله أى أخوال جده عبد المطلب سيد العرب ، وعمدة المكارم فى الجزيرة . . .

بنو النجار الذين نزلت بهم آمنة ومعها محمد اليتيم الذى لم يتجاوز من عمره ست سنوات ، وهنالك رأى الزروع والضروع والقصور والآبار . . .

بنو النجار الذين نزل بهم النبى المهاجر من مكة فدعوه إليهم حيث المنعة والعدد والعدة والحدائق . . .

بنو النجار الذين خرجوا إليه رقاق القلوب ، يقول غلمانهم :

طلع البـــدر علينا   من ثنيات الوداع

وتقول جواريهم وفى أيديهن المعازف والدفوف :

نحن جوار من بنى النجار   يا حبذا محمـــد من جار

فيقول لهن : أتحببننى ؟ فيقلن : نعم . فيقول : الله يعلم أن قلبى يحبكن

بنو النجار الذين اصطفاهم النبى ليسترضع فيهم ابنه إبراهيم ، وائتمن على رضاعته أم بردة . . .

بنو النجار الذين كانوا للنبى أنصارا ، أولئك الذين رقت مشاعرهم ، وأشرقت أساريرهم ، ونعمت نساؤهم بالجمال والكمال ، وعرفن بالظرف والرقة ، والغزل والطرب . . .

بنو النجار الذين قال النبى فيهم « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث ، ثم بنو ساعدة ، وفى كل دور الأنصار خير »

فى هذه الأجواء العاطرة بالمرح والنعيم ، وفى تلك الأرجاء الحافلة بالبطولة والرجولة ، وفى بيت بنى مازن ، نشأت أم عمارة ، وكانت من ربات البيوت اللائى أفضن على الأزواج والأولاد من إعانهن بالله ورسوله ، فاستنارت القلوب ، وارتفعت الجباه ، بما دعا إليه نبى الإسلام من توحيد الله ، واتحاد العباد

وكانت أم عمارة إحدى اثنتين من نساء يثرب جاءتا فى الحجيج إلى مكة قبل الهجرة ، وبايعتا النبى فيمن بايعه ليلة « العقبة الكبرى » ويالها من ليلة مشهودة ، انبثق من حواشيها السود ، طلائع النور فى يثرب الفيحاء .

وليس من الهين على التاريخ أن ينسى أم عمارة وأم منيع وهما اللتان ظفرتا ببيعة النبى ، فقد أخذ عليهما من غير مصافحة ، وأقرتا له فقال لهما : اذهبن فقد بايعتكن

وذهبنا لتمهيد النفوس للبشارة المحمدية الصافية ، ولاستقباله يوم يقدم المدينة مهاجرا من قريش التي أخرجته من مكة ، ولولا أن أخرجوه لكان له المقام الدائم في بلد به بيت الله الحرام ، فهو لذلك أحب البلاد إليه ، وألصق الأوطان بجلده ، وأعمقها أثرا في لحمه ودمه

وطلع البدر على يثرب من ثنيات الوداع ، ونزل بدار « أبي أيوب الأنصاري » وتوافد المهاجرون أرسالا من مكة ، وأخذ كل أنصاري يستضيف أخاه المهاجر حتى ليكاد أن يشاطره ماله ، ويتنزل له عن إحدى زوجتيه حبا وكرامة ، ولم تنقطع جفان بني النجار خاصة والأنصار عامة عن منزل رسول الله . تطعم منها ويطعم البائس الفقير من أهل الصفة

يالها من أريحية تهز المكارم العلية في نفوس الأنصار رجالا ونساء ، شيبا وشبانا ، سواء في ذلك الأوس والخزرج ، وقد اعتصموا بحبل الله « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » وانقلبوا بعد العداوة والضراوة إخوانا وأحبابا ، ورفت على صدورهم نعمة الإسلام ، وتضوعت بين أعطافهم رياحين الإيمان

في بيت من تلك البيوت ، كانت شعلة الإيمان أشد توهجا ، وأنصع بريقا ، وكلما توالت الأيام ، اتسعت آفاق الدعوة ، وانتشرت أقطار الخير ، على الرغم مما كان يبديه اليهود ، ويخفيه المنافقون ، وترجوه قريش

ولعل هذا الثالوث المعادي ، كان العامل الأول في ازدياد عدد الأنصار ، واتقاد جذوة الإيمان ، واستعداد الكتائب لكل طارئ ، وهم الذين بايعوا نبيهم على العسر واليسر والمنشط والمكره وقول الحق ولو كان مرا ، لا يخشون في الله لومة لائم ، ولا ينازعون الأمر أهله

أيقن الأنصار أن قدوم النبي عليهم إنما هو فاتحة عهد جديد لهذا الدين الذي جاء ليشق بالمهاجرين والأنصار طريق الجهاد ، وأنها لإحدى الحسنيين : نصر دين الله ، أو استشهاد في سبيله ، وكان ما كان من أمر النبي في غزوة بدر ، حيث انتصر المسلمون وهم قلة في العدد والعدة

جاءت أم عمارة يوما تقول لرسول الله : ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى للنساء شيئا . فتلا عليها قول الله تعالى « إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »

ولزمت أم عمارة غرز نبيها الكريم ، وكانت امرأة ضابطة جلدة ، قوامة ، لها من النفوذ والتأثير في بيتها وأهلها وجاراتها وصواحبها ما جعل الناس يتحدثون عنها كلما ذكروا خير نساء الأنصار ، والسابقات منهن إلى الإسلام

ولم يكن ليفوت أم عمارة أن توثق صلتها بأهل البيت ، بيت النبي الكريم ، لترى عن كثب كيف تعمل فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، وسيدة نساء أهل الجنة ، فاطمة البتول العابدة الزاهدة ، ولترى فيها المثل الأعلى للمرأة المجاهدة بنفسها في سبيل الله .. ولتشهد مع هذا كله أمهات المؤمنين ، وما ينعمن به عند الرسول الكريم من رعاية وعناية ، وما يمتدن به دون النساء من علوم الدين على يدي رسول هذا الدين

واستحوذت على أذهان نساء يثرب فكرة أخذت عليهن كل سبيل ، فما وجدن عنها منصرفا ، ولا أردن عنها متحولا ، وسرت هذه الفكرة بينهن غاديات رائحات ، فأصبحت حديث الصباح والمساء ، وكلما رأين رجالهن يدرجون في مراقي الجهاد سراعا ، استصغرن عيشهن هذه الضيقة ، وكادت قلوبهن تطفر من أقفاصها لتنطلق كالسهام في ميادين الجهاد

هذه أسماء بنت يزيد الأنصارية تسأل رسول الله فتقول : يا رسول الله : إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنا بك واتبعناك ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا لهم أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟ ؟

عندئذ التفت النبي بوجهه إلى أصحابه من حوله ، وقال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا من دينها من هذه ؟ قالوا : بلى يا رسول ، فقال لها : انصرفي يا أسماء ، وأعلمي بأنك من

للنساء ، إن حسن تبعل (ملاعبة) إحداكن لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال »

وانصرفت أسماء وهى تهلل وتكبر ، استبشارا بما قال لها رسول الله ، حيث لا زيادة لمستزيد · وترامى حديث أسماء إلى أسماع حزب النساء ، فكان لهن من هدى الرسول نور يسترشدن به فى هذه الحياة الاجتماعية ، التى تزخر بالحيوية ، وتفيض بالنشاط على غير ما كان معهودا فى المدينة من قبل ، بل ما كان أبعد نساء يثرب عنه ، قبل أن تشرق عليهن شمس الإسلام ، وقبل أن ينقشع الوخم والوباء عن الناس ، ولولا دعوة النبى لها ما طاب بها مقام ، ولا لذ فيها معاش

وأرادت أم المؤمنين عائشة أن تظفر بتصريح من زوجها النبى الكريم علها أن تأتى حزب النساء بجديد ، يضاف إلى ما يشغل بالهن من أمر « جهاد المرأة » ، فسألته ليأذن لها فى الجهاد فقال : جهادكن الحج » وسألته غيرها من أمهات المؤمنين عن الجهاد فقال : نعم الجهاد الحج

هذا وفى رأس أم عمارة فكرة تكاد أن تنفجر ولكنها تستبقيها إلى حين ، وفى صدرها وثبة إلى هدف كريم ، وما كان أحرصها على الاستئثار به دون غيرها .. إنها آمنت وصدقت كل ما جاء على لسان النبى من القرآن والسنة . وهى امرأة من النساء وما قاله النبى لهن إنما يصدق عليها ، فلا مفر من تسكين نزعتها المدوية بين جوانحها ، ولا مناص من الإذعان — كسائر النساء لأوامره ونواهيه ، ومن قبلهن أمهات المؤمنين ، وهن ما هن شرفا ومكانة

ولكن أم عمارة قد أصرت إصرارا على أن تحمل السلاح وتنتظم فى الصفوف ، وتجاهد مع المجاهدين . فهل خرجت بذلك عن طوع القيادة ؟ . وهل خالفت عن أمر قائدها الأعلى ؟ .. كلا وما كان لها أن تفعل ، ولكنها ذات امتياز على سائر النساء حتى أزواج النبى منهن ، لأنها صاحبة عهد مع رسول الله منذ العقبة الكبرى ، وهو الذى بايعها على الجهاد ، فما ينبغى لها أن تنقض البيعة وإن كان للنساء تصريحات النبى ذريعة للخروج من باب الجهاد ..

أفهل وقر فى الأذهان أن بيعة العقبة أصبحت — ولو بالنسبة لأم عمارة وأم منيع — غير ذات موضوع . أم أنها استنفدت أغراضها ، وفقدت صلاحيتها منذ هاجر النبى إلى المدينة، واستقر بها ، وقال لعائشة وأم عمارة وأسماء ما قال من إعفاء النساء من فريضة القتال ؟..

الحق أن القتال كره للرجال ، ومع ذلك فقد كتبه الله عليهم ، ومن يدرى لعله يكون لهم خيرا .. من هذا الباب دخلت أم عمارة وحدها ، بعد أن صممت تصميما تاما على الجهاد مع رسول الله ، ولديها من المبررات ما يسند رأيها إذا احتدم الجدال

عرفت أم عمارة أن جهاد النساء ليس واجبا ، فلم لا يكون تطوعا ، وها هى قريش بقضها وقضيضها ، وخيلها وخيلائها قد غادرت مكة ليس بها داع ولا مجيب ، تحارب الله وتحاد رسوله ، ليكون لها يوم بيوم بدر ، وهذا أبو سفيان قد استخف قومه فأطاعوه

وترامت الأنباء إلى النبى ، فأعد لهم من القوة ومن رباط الخيل ما استطاع ، ونادى المنادى للجهاد فتقاطر المسلمون إلى الصفوف كأنهم بنيان مرصوص : منهم الغلمان أمثال رافع بن خديج وسمرة ابن جندب وأبو سعيد الخدرى ، وغيرهم ممن عرفوا بالرماية والمصارعة على حداثة أسنانهم ، ومنهم عائشة وأم سليم وقد تطوعتا لنقل الماء على متونهما لتفرغاه فى أفواه القوم ، ومنهم الكهول الذين تاقت نفوسهم إلى الاستشهاد فى سبيل الله كاليمان حسيل ابن جابر ورفاعة بن وقش ولم يقبلا أن يبقيا مرفوعين فى الآطام مع النساء ، ومنهم عمرو بن الجموح الذى أخذ يعدو إلى رسول الله ومن خلفه بنوه يصدونه وقد أعفاه الله من الجهاد لأنه أعرج ، أما هو فقد أراد أن يطأ بعرجته فى الجنة . ومنهم حنظلة الذى لم يبت ليلة عرسه إلا ليصبح على جنابة ، فما أن سمع الهيعة حتى طار إليها ليكون غسيل الملائكة بين السماء والأرض ، واصطفوا عند (أحد) ظهورهم إلى الجبل

أفكان يهون على أم عمارة أن ترى هؤلاء وهؤلاء ، وتقف هى من خلف الصفوف ، والأمر يومئذ جد لا هزل ، وقد لزم كل من المجاهدين والمجاهدات المكان الذى أمر به ، وحذرهم النبى ألا يبرحوا أماكنهم ، وأمرهم بأن يحموا ظهره وإلا كرت عليهم قريش بخيلها تحت أمرة خالد بن الوليد

ودارت رحى القتال ، وحمى الوطيس ، واختلط الحابل بالنابل ،

وانقض المسلمون إلى الغنائم فتخلوا عن أماكنهم فانكشف النبي لعدوه ، فكروا عليه كرة واحدة . وما إن رآهم يغشونه حتى نظر إلى من حوله وقال : من رجل يشرى لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السكن فى خمسة من الأنصار فقاتلوا دون رسول الله ، رجلا ثم رجلا ، يقتلون من دونه حتى كان آخرهم زياد فقاتل حتى اثبتته الجراحة ، ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه

وانفض المسلمون من حول النبي ، وتركوه قائماً ، فأقبل ابن قمئة وقد اختصر حرابه ، وانتضي سهامه ، وجعل يقول : دلونى على محمد ، فلا نجوت إن نجا : ونساء قريش يذمرن الرجال ويضربن الدفوف ، وبنو عبد الدار يخشون أن يسقط اللواء منهم فلا يرتفع لهم رأس فى قريش أبداً ، وهم لذلك يستجيبون لهذه الراجزة هند بنت عتبة وصواحبها ، وهن مقبلات مدبرات ويقلن:

ويها بنى عبد الدار   ويها حماة الأدبار   ضربا بكل بتار

نحن بنات طارق   نمشى على النمارق   مشى القطا البوارق

والمسك فى المفارق   والدر فى المخانق   أن تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق   أو تدبروا نفارق   فراق غير وامق

والتحم القتال ، وقد أصعد المسلمون لا يلوون على أحد ، والنبي يقول لهم :

أى عباد الله ! أخراكم !

ولكن ذهبت دعوته أدراج الرياح ، وإن كان بعض الناس قد أحدقوا بالنبي ، ونثروا كنانتهم بين يديه ، وأبو طلحة الأنصارى يقول : وجهى لوجهك فداء يا رسول الله . ثم يرى أشد ما يكون الرمى ، ويصرخ فى القوم فكأنه زئير الأسد تتجاوب أصداؤه فى جوانب الغاب ، ولذلك قال النبي وقد سمع صوته يجلجل . « صوت أبى طلحة فى الجيش خير من أربعين رجلا » وكان حول النبي سعد بن أبى وقاص ، وسهل بن حنيف وأبو دجانة ، وقد اعتصب بالموت الأسود وزيادة بن الحارث الذى أخذ يرمى دون نبيه حتى مات شهيداً

ونادى عدو الله بن قمئة فى الناس : إن محمداً قد قتل .. وإذا بالناس قد انتثروا من الحرب كما تنتثر الحبوب من بين شقى الرحى ، وهى تدور فى يد شيطان رجيم ، ويستوقفهم مصعب بن عمير فيقول لهم : اثبتوا ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً

أخزاك الله يا ابن قمئة ، وكبك فى النار يا أبا عامر ، وشلت يداك يا عتبة .. أهكذا يشج وجه رسول الله ، وتدخل حلقتا المغفر فى صدغيه ، فينزعهما أبو عبيدة بأسنانه ، فتكسر رباعية النبي وتشق شفته ، ويسيل الدم على وجهه ، فيمسحه ابن عمه وختنه على ، ويتأثر النبي فيقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ، ويتنزل عليه جبريل الأمين بقول رب العالمين :

« ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون »

ويتفقد كعب بن مالك نبيه فى هذه الغمرة ، فيراه بحمد الله على غير ما يدعى عدو الله ، فيتلفت إلى المسلمين ، يبشرهم بأن نبيهم لا يزال على قيد الحياة ، فيشير النبي إليه أن أنصت ، ثم تعتمل القوافى فى وجدان شاعر النبي إذ يرى الكفار يظهرون الشماتة ، وما تخفى صدورهم أكبر ، فيتبرى لهم ويقول :

إن تقتلونا فدين الله فطرتنا
والقتل فى الحق عند الله تفضيل
وإن تروا أمرنا فى رأيكم سفها
فرأى من خالف الإسلام تضليل

أين أنت فى هذه المعمعة الدائرة يا أم عمارة ؟

(للكلام بقية)   محمد محمود زيتونه

نفوس عراقية ثائرة

للأستاذ حمدي الحسيني

١ – الشيخ عبد المحسن الكاظمي – طيب الله ثراه – شاعر عربي استقلالي. نشأ في بغداد فاشتغل فيها بالتجارة ثم بالزراعة، فلم ينجح في كلا العملين فتوجه نحو الأدب وكل ميسر لما خلق له. فطالع كتب الأدب وحفظ من الشعر القديم اثني عشر ألف بيت فعرف فضله ونبه ذكره. وأخذ يفكر في العرب والمسلمين، وما هم عليه من الخضوع والذل، حتى قدم السيد جمال الدين الأفغاني إلى بغداد منفيا من حكومة إيران فالتقى به الكاظمي وعقدت الصداقة والمبادئ بين قلبيهما. وما كاد الأفغاني ينفى من بغداد حتى شعر الكاظمي بأن الخطر يقرب منه لأنه صديق الأفغاني ولأنه يناضل الحكومة العثمانية على نور القضية العربية. فاضطر أن يغادر بغداد ويتنقل في البلاد الإسلامية حتى ألقى عصا تسياره في مصر، وجعلها دار إقامته، ولامس قضيتها الوطنية وزعامة سعد ملامسة قوية حارة، ونظم فيهما القصائد الكثيرة العامرة، ولم يخرج منها إلا إلى بعض الأقطار العربية المجاورة. وقد زار فلسطين وشرق الأردن بعد الحرب العالمية الأولى، فأقام بيننا في القدس مدة قصيرة رأينا خلالها من أدبه الجم ما ملأ النفوس إعجابا، ومن عواطفه الوطنية ما أفعم القلوب سرورا وطربا. مما دعا العرب في فلسطين أن يقيموا له بعد وفاته حفلة تأبين كبيرة في مدينة يافا دعوا إليها عدداً من أهل الفضل في البلاد العربية. وقد تكلم في هذه الحفلة نخبة من عارفي فضل الكاظمي والمعجبين بشعره ووطنيته وتضحيته، منهم المرحومان إبراهيم عبد القادر المازني وإسعاف النشاشيبي والأستاذان أسعد داغر وعجاج نويهض وكاتب هذه السطور وغيرهم

فالكاظمي يعد من شعراء القومية العربية والقضية الاستقلالية. وأما النبع الذي يفيض على شعره الوطني بالقوة فهو المبدأ القويم الراسخ. والكاظمي كان منفرداً بين شعراء العرب والمعاصرين في القدرة على نظم المطولات ارتجالا. وأما أخلاقه الشخصية فالفضيلة بكل معانيها، ولعل الإباء وعفة النفس هي أقوى أخلاقه وهي من أقوى أسباب بؤسه وشقائه في حياته. ولنسمع الآن الكاظمي يخاطب حرية العرب المسلوبة ويتودد لهذه الحرية حتى تعود إلى البلاد العربية المشوقة لجمال طلعتها

يا حبذا يوم الجمال وحبذا ... يوم الوصال وأجره المكسوب
يوم يعود لنا به استقلالنا ... ويرد فيه حقنا المغصوب
حتام نحتمل الذلة طوعا ... ولنا بآفاق البلاد وثوب

ولنسمع هذه القطعة القوية من شعره:

سيروا نذب عن الحمى ... ونرد عنه المستبدا
نحمي حمى أوطاننا ... ونصونها غوراً ونجدا
ونرد عنهـا من عدا ... ظلما عليها أو تعدى
أيروق لي عيش أرى ... فيه الكريم الحر عبدا
وإذا نظرت إلى المرا ... ن رأيت طعم الموت شهدا
إن لم تكن تجدي الحيا ... ة بعزها فالموت أجدى

٢ – السيد محمد رضا الشبيبي، شاعر عراقي بارز الشخصية، وقطب من أقطاب الحركة الفكرية والنهضة الوطنية في العراق. وهو فوق هذا ذو ثقافة إسلامية عالية ومقام اجتماعي رفيع. قرأنا طائفة من شعره فرأينا القوة تتدفق والوطنية تتألق

خسرت صفقتكم في معشر ... شروا العار، وباعوا الوطنا
ضيعوه ولو اعتاضوا به ... هـذه الدنيا، لقلت غبنا
يا عبيد المال خير منكم ... جهلاء يعبدون الوثنا
إنني ذاك العراقي الذي ... ذكر الشام وناجى اليمنا
إنني أعتد نجداً روضتي ... وأرى جنة عدن، عدنا

وقد رأينا روح الوحدة العربية تتنفس في قصائد الشبيبي مما دلنا على أنه مؤمن بهذه الوحدة عامل لها

ببغداد أشتاق الشآم وها أنا ... إلى الكرخ من بغداد جم التشوق
فلا أنا في أرض الشآم بمشئم ... ولا أنا في أرض العراق بمعرق
هما وطن فرد، وقد فرقوهما ... رمى الله بالتشتيت شمل المفرق

٠ ٠ ٠

٣ – السيد خيري الهنداوي، شاعر عراقي، اتصل في نشأته

الأولى بالزهاوى والرصافى فى بغداد وعاشرهما مدة طويلة فأفادته تلك المعاشرة فى تفكيره وأسلوبه الشعرى ، وهدته إلى أقوم الطرق وأصح الوسائل لخدمة القضية العربية . وقد سجنه الاعاديون مرارا وضيقوا عليه الخناق حتى زال حكمهم فاشتغل بالوظائف فى العراق . وقد نفى مع من نفى على أثر الثورة العراقية الكبرى . وقد رأيت فيما قرأته له من شعر ، روح الرصافى مشرقة بين السطور أيما إشراق :

مرحبا بالخطوب إن هى كانت ... سببا موصلا إلينا الحقوقا
وأحب الخطوب عندى حبس ... فيه نسطيع بالكرام اللحوقا
لا أبالى إذا خدمت بلادى ... أسيرا رأيتنى أم طليقا
ويك لا أرتضى الحياة بذل ... قم فرق إهابها تمزيقا
وأدر لى فى الرافدين حميا الـ ... ـحرب صرفا ، وكسر الإبريقا
إن موتا يكون فى ساحة الهـ ... ـزل موت أجدر به أن يروقا

* * *

٤ — الشيخ كاظم الدجيلى شاعر عراق، واسع الاطلاع كثير المعرفة ؛ اشتغل فى بغداد بالصحافة قبل الحرب العالمية الأولى . وهو يحب الرحلة والتنقل ، ويميل إلى التحقيق العلمى . قد رأينا فيما قرأناه له من شعر ، قوة نزوع للحياة وشدة اندفاع للحرية ، وهو يعتقد بأن لابد للحق من قوة تعضده وإلا فهو ضائع

حديثك عن غير القوى حرام ... وسعيك فى نصر الضعيف أثام
تحدث بمجد الأقوياء فهمو ... قعود بأحكام الورى وقيام
إذا كنت بين العالمين أخا قوى ... رعتك عيون الناس حيث تنام
حمى الغاب بأس الليث من كل طارق ... ولم ينج من فتك البزاة حمام
يقولون إن الحق من فوق قوة ... وما الحق إلا مدفع وحسام
إلى العز فاركبها ممودة السرى ... عليها ركوب الصاغرين حرام
ولا تك عن نيل العلاء بقاعد ... وفيك إلى نيل العلاء قيام
ولا ترض ذل الخاملين وعيشهم ... فإن حياة الخاملين حمام

* * *

٥ — فى يدنا للسيد أحمد الصافى النجفى — متعه الله بالصحة والعافية — ديوانان ، الأمواج ، وأشعة ملونة . فرأينا للصافى فى هذين الديوانين نفسا كبيرة ، ثائرة ، نزاعة إلى مثلها العليا التى يحيا الصافى من أجلها ويموت فى سبيلها ؛ وهى الحق والحرية والرحمة . ونحن نعتقد بأنه مخلص لهذه المبادئ ، وأنه جاد فى التقرب منها مجاهد فى سبيل تحقيقها . وكيف لا يكون الصافى مخلصا لهذه المبادئ وهى أهداف لأقوى غرائزه ووسائل لإشباع أعرق رغباته . وكيف لا يكون للصافى هـذا المقام الرفيع فى قومه ، وأهدافه مشتركة بينه وبين العرب فى سائر بلاد العرب ، بل مشتركة بينه وبين الإنسانية كافة. واستهداف الصافى للحق والحرية والرحمة يجعله فى نظرنا ليس شاعرا عربيا فحسب ، بل شاعرا إنسانيا يشترك مع جميع الناس فى نصرة الحق المهضوم ، واسترداد الحرية المسلوبة ، وإرسال الرحمة نسيما عليلا معطرا ينعش نفوس البائسين . ومع كل هـذا نرى فى نفسية الصافى تعقدا وفى سلوكه شذوذا . ونعتقد أن سبب هذا التعقد وهـذا الشذوذ ، ما قست به الطبيعة عليه من مرض وما اشتدت به البيئة عليه من فقر

الفلاح — على الإطلاق — صديق للصافى ، نراه يرثى به ويتوجع له مما لحق به من أذى الظلم الاجتماعى الذى يباعد بينه وبين سعادة الحياة وهناءة العيش ، على رغم ما يبذل فى سبيل الحياة من عرق جبين وعضلات ساعد . ولكنه لا يقف منه عند حد التوجع ، بل يدفعه إلى استنكار الظلم ودفع الحيف

حتام يا هذا لسانك ألكن ... وإلى م ألسنة الطغاة فصاح
كل الجناح على الضعيف إذا اعتدى ... أما القوى فما عليه جناح
ياريف إن كتاب بؤسك مشكل ... يعيا بحل رموزه الشراح
أطيار روضك عالها باز العدى ... وعدا على أسماكك التمساح
الورد قد خنقته أشواك الربى ... ظلما . وفر البلبل الصداح
ياريف مالك اشرب أهلك آسن ... رنق ، وشرب ولاة أمرك راح

وإذا كان الصافى صديق الفلاح فى كل أرض فهو صديق الشعب فى كل وطن ، فاسمعه الآن يخاطب الشعب المظلوم

لاتشك للعدل ضيما واشكه لظبا ... فالعدل أصبح فى الدنيا بلا أذن
لم يعطك العدل شيئا وهو ذو منن ... والسيف يعطيك ماتهوى بلا منن
لاتنتظر أن يرد العدل عنك أذى ... فالحق فى حبس القانون والسنن
ضعف الخراف دعا ذئب الفلاة لها ... فالذئب للضعف ، ليت الضعف لم يكن

المكتبة العـــربية
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٣ —

تلك هى العوامل التى نهضت بالثقافة فى ذلك العصر ، وأغنت المكتبة العربية غنى ساهم فيه علماء ممتازون لا تزال أسماؤهم حية إلى يومنا ، ولا تزال كتبهم باقية تدرس :

ففى القراءات نجد أشهر ما بقى لنا من ذلك العصر منظومة الشاطبية لمؤلفها القاسم بن فيره الشاطبى المتوفى سنة ٥٦١ ، وقد استقبل العلماء تلك المنظومة منذ إنشائهـا خير استقبال ، وبالغ الناس فى التغالى بها ، وأخـذ أقوالها مسلمة ، واعتبار ألفاظها منطوقا ومفهوما ، حتى خرجوا بذلك عن حـد أن تـكون لغير معصوم

وساهم فى تفسير القرآن يومئذ عدد كبير من العلماء أنتجوا أكثر من ثلاثين تفسيرا اشترك فى تأليفها الشاعر الأديب كالحسن ابن الزبير ، والفقيه المشرع كالعز بن عبد السلام ، والواعظ المؤرخ كسبط ابن الجوزى ، والنحوى كعلى بن عبد الله الوهرانى ، والمتكلم كعلى بن أحمد التجيبى ، والصوفى كابن العربى ، والطبيب كابن الابودى ، والمقرئ كعلم الدين السخاوى

وفى دار الـكتب من آثار هذه الحقبة جزء من تفسير ابن المنير . وكتابه الانتصـاف من الـكشاف ؛ ولابن العربى بعض تفسيره وكتاب إيجاز البيان فى الترجمة عن القرآن ، وكتاب رد معانى الآيات المحكمات ؛ كما بقى للعز بن عبد الـسلام تفسيره وفوائد له ، وهى أسئلة وأجوبة تتعلق بالقرآن الـكريم ، وكتاب كشف الإشـكالات عن بعض الآيات وهى أجوبة عن أسئلة مشكلة فى آيات من القرآن الـكريم ، كما عثرنا على بعض تفسير ابن ظفر الصقلى الذى سماه ينبوع الحياة ، وعلى منظومة السخاوى فى بيان متشابهات الـكتاب ، ومنظومة الديرينى فى التفسير

وقد تنوعت كتب التفسير فى هذا العصر بين موجزة ، وبين مطولة قد تبلغ خمسين سفرا أو تزيد

ولم يقف نشاط العلماء عند تفسير القرآن مجتمعا ، بل انصرفت طائفة إلى تنظيم الاستفادة من كتب التفسير التى وضعها سواهم فاختصروها أو أكملوها ، ومنهم من فسر جزءا منه قـد يكون آية أو سورة أو آيات متناثرات . ومنهم من انصرف إلى ناحية خاصة فى القرآن فدرس النـاسخ والمنسوخ فيه ، أو درس ما قد يتراءى من آيات مشكلة أو متشابهة ، أو تعرض لأسرار ما بدئت به بعض السور من الحـروف ، أو تحدث فى أمثـال القرآن ، أو إعرابه ، أو وصف خطه ، أو ألف فى علومه

وأشهر تفسير بقى لنـا من ذلك العصر هو تفسير القرطبى الذى سماه : جامع أحكام القرآن ، والمبين لـا تضمن من السنة وآى الفرقان . وتقوم دار الـكتب بطبعه وتقدر أنها ستتمه فى نحو عشرين جزءا ؛ وقد بدأ القرطبى موضحا الخطة التى انتهجها فى كتابه بقوله : « وبعد فلما كان كتاب الله هو الـكفيل بجميع علوم الشرع ، الذى استقـل بالسنة والفرض ، ونزل به أمين

واسمع الصافى يصيح أين الجرس ؟ ؟

جرس النهضة قد دق فلم	نتيقظ حين دق الجرس
سرق الطامع أبهى مجدنا	ومضى يعدو فأين العسس
قد رقدنا أملا فى حرس	ولقـد غبنا ونام الحرس
سهروا فى أول الليل ومذ	نهض السارق يسعى ، نعسوا
نسمة الإصلاح هبى نحونا	فلقـد ضاق علينا النفس
هل ترى يوما سنا حرية	فلقد ساء علينا الغلس

وخذ هـــذه القطعة العامرة بقوة الـكفاح والمغالبة فى سبيل الحياة

إن غصبت من الأسود لقمة	فاستخرج اللقمة من فم الأسد
إن مصاعب الحياة كلها	شديدة ، لـكنما الذل أشد
احفظ كيان الجسم منك سالما	ثم اقطع العضو ، إذا العضو فسد
لا تنعبوا من فسدت نيته	فما يرى الأشياء طرف ذو رمد

محمدى الحسينى

السماء إلى أمين الأرض، رأيت أن أشتغل به مدى عمرى، وأستفرغ فيه مئتى، بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتا من التفسير واللغات والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعا بين معانيها، ومبيناً ما أشكل منها، بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف . . وأضربت عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين، إلا ما لابد منه ولا غناء عنه للتبيين، واعتضت من ذلك تبيين آى الأحكام بمسائل تسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكمين فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول والتفسير والغريب والحكم فإن لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل وهكذا إلى آخر الكتاب . »

واشتغل بدراسة الحديث رواية ودراية فى ذلك العصر طائفة كبيرة عرفت منهم زهاء ثلاثمائة

ولما كانت أمهات كتب الحديث قد وضعت قبل ذلك العصر فإنها قد جعلت أساس دراسة الحديث يومئذ يقرؤها الأساتذة فى دروسهم، ويحفظها المحدثون فى صدورهم ويدور حولها المؤلفون. فرأينا طائفة من العلماء قد تصدت لشرح هذه الكتب أو اختصارها أو للجمع بينها أو إعرابها أو معرفة ما اتفق عليه مؤلفوها

وظهر فى هذا العصر ولوع بأن يجمع العالم من مختاراته أربعين حديثاً، فمنهم من اختارها قدسية، ومنهم من اختارها فى الأحكام، ومنهم من جمعها فى فضائل القرآن، ومنهم من اختارها متعلقة بالطب، كما تنوعت اتجاهات رجال الحديث فى ذلك الحين: فمنهم من جمع أحاديث ترتبط بموضوع معين كما جمع ضياء الدين المقدسى أحاديث الحرف والصوت، والنووى أحاديث الترغيب والترهيب، ومنهم من جمع الأحاديث التى ترتبط بالأحكام الشرعية ورتبها على أبواب الفقه كما فعل ابن دقيق العيد فى كتابه: الإمام فى أحاديث الأحكام، صنفه فى عشرين جزءا، جمع فيه متون الأحاديث المتعلقة بالأحكام مجردة عن الأسانيد ثم شرحه، وجمع فى هذا الشرح ما جعله مؤلفا حافلا لم يصنف مثله، ولكنه لم يكمله، ولو كملت نسخته لأغنت عن كل مصنف فى هذا الباب(١)

أما علوم الحديث وتسمى مصطلح الحديث، وهى ما تبحث فى أحوال السند، من حيث اتصاله وانقطاعه، وقوة رجاله أو ضعفهم، وفى نقد المتن من حيث صحته أو شذوذه أو تحريفه أو تصحيفه (٢)، فقد ظفرت فى هذا العصر بكتاب عد مرجعا فى هذا الشأن منذ تأليفه، وهو كتاب ابن الصلاح الذى بين أحكامه، وفصل أقسامه، وأوضح أصوله، وشرح فروعه وفصوله

ومن أشهر رجال الحديث المؤلفين فيه حينئذ ابن عساكر، والسلفى، وعبد الغنى المقدسى، وابن الصلاح، وعبد العظيم المنذرى، ومحيى الدين النووى، والشرف الدمياطى

أما الفقه فكان المذهب المعول به فى مصر عندما شبت الحروب الصليبية مذهب الشيعة، فلما ولى صلاح الدين تظاهر الناس بمذهب مالك والشافعى، ولما كان نور الدين محمود حنفيا نشر مذهب أبى حنيفة ببلاد الشام، وقدم منهم عدة إلى مصر

وكان مذهب الشافعى له قصب السبق فى مصر ويليه مذهب مالك وأبى حنيفة فأحمد بن حنبل. وكانت المكانة الأولى فى الشام لمذهب أبى حنيفة ثم للشافعى، ويحتل مذهب ابن حنبل الرتبة الثالثة بينما يقل مذهب مالك فى تلك الربوع

لا أستطيع أن أرسم صورة صحيحة للجهود العلمية التى بذلها علماء الشيعة، فكثير منها قد اندثر بانتهاء العهد الفاطمى لحرص الدولة الأيوبية على محو رسومهم وآثارهم؛ وفى مذهب الشافعى عنى العلماء يومئذ بشرح كبريات كتب المذهب الوافدة عليهم، ككتابى التنبيه والمهذب لأبى إسحق الشيرازى، وكتابى الوسيط والوجيز للغزالى، والمحرر للقزوينى. وكان من أهم مختصراته كتاب منهاج الطالبين للنووى

ولم يقف جهد العلماء عند حد شرح الكتب الوافدة واختصارها بل ساهموا بانتاجهم الخاص المستقل، فوضعوا كتبا كثيرة كان من أهمها كتاب القواعد الكبرى لعز الدين بن عبد السلام، قال عنه صاحب كشف الظنون: وليس لأحد مثله، وله القواعد

(١) الطالع السعيد ص ٢٢٢ وطبقات الشافعية ج ٦ ص ٤ وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٣

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٢٨١

الصغرى أيضا ، و ساهم ابن أبى عصرون فى الإنتاج مساهمة كبرى فوضع مآخذ النظر ، وكتاب الذريعة فى معرفة الشريعة، وكتاب الانتصار لمذهب الشافعى وهو كبير فى أربع مجلدات ، وكتاب المرشد فى مجلدين ، وهو أحكام مجردة بلفظ وجيز كانت الفتوى عليه فى مصر قبل وصول الرافعى الكبير إليها ، وكتاب التنبيه فى معرفة الأحكام ، كما وضع مجلى بن جميع كتاب الذخائر ، وعبد الله الفهرى كتابه المجموع ، وابن شداد كتابه الوجيز ، وأبو شامة المقدسى أرجوزة فى الفقه وكتابا سماه المذهب، وموسى القشيرى كتابه المغنى

وعنى رجال أبى حنيفة يومئذ بكتب أربعة وفدت إليهم هى الجامع الكبير والجامع الصغير لمؤلفهما محمد بن الحسن الشيبانى ومختصر القدورى وكتاب الهداية ، فشرحوا بعضها ونظموا البعض الآخر . ولم يقف جهدهم عند دراسة هذه الكتب وخدمتها ولكنهم أضافوا ثروة جديدة إلى ثروة الأقدمين ؛ ذكر ابن خلكان أن المعظم عيسى أمر الفقهاء أن يجردوا له مذهب أبى حنيفة دون صاحبيه فجردوه له فى عشر مجلدات ، وسموه التذكرة المعظمية نسبة إليه ، وكان لا يفارقه سفرا ولا حضرا ويديم مطالعته . ووضع كثير من العلماء كتبا ، فرأينا الغزنوى يضع كتابا عرف بالمقدمة الغزنوية ، والماصرى يؤلف كتابه المبسوط فى نحو ثلاثين مجلدا ، ولعل أكبر ما رضعه علماء هذا العصر كتاب المحيط للسرخسى فى أربعين مجلدا ، وللعلماء حديث طويل فى صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه

وفى مذهب مالك كان كتاب المدونة لعبد الرحمن بن القاسم المالكى المتوفى سنة ١٩١ من أعظم ما عنى به فى عصر الحروب الصليبية ، درسها العلماء وشرحوها وهذبوها ، ومن أشهر من هذبها يومئذ البرادعى ، وقد صار تهذيبه من أجل كتب المالكية فقام العلماء على شرحه حينا واختصاره حينا آخر

أما ما وضعه العلماء فى فقه المالكية حينئذ فمن أهمه كتاب الجواهر الثمينة فى مذهب عالم المدينة ؛ وقد عكفت عليه طائفة المالكية بمصر يدرسونه ويحفظونه . أما الكتاب الذى وضعه ابن الحاجب وعرف بالمختصر ، فقد ظفر من العلماء بعناية خاصة وأصبح مرجعاً لهم وشرحوه . كما وضع القرافى كتابيه الذخيرة والقواعد

وكان مختصر الخرقى لعمر بن حسين الدمشقى المتوفى سنة ٣٣٤ مما يدرس فى ذلك العصر ، وعنى به شرحه موفق الدين ابن قدامة المقدسى فى كتاب سماه المغنى وهو من أهم كتب الحنابلة ، كما ألف المقنع الذى شرحه ابن أخيه عبد الرحمن بن محمد فى عشر مجلدات وألف العمدة واختصر الهداية

ولا عجب أن نرى هذه العناية بالفقه فقد كان مصدر التشريع يومئذ ، وكان السلاطين أنفسهم يدرسونه لحاجتهم إليه فى الفصل فيما يعرض عليهم من القضايا وهم جالسون بدار العدل مع القضاة

وفى أصول الفقه كان كتاب المحصول لفخر الدين الرازى أشهر ما يدرس فى مصر والشام ، اختصره العلماء أحيانا وشرحوه أحيانا أخرى ، وجمعوا ما فيه من المعلومات وزادوا عليها ما نقصه منها

وقدمت البلاد فى هذه المادة كتبا عدت من أصول كتبه ومن أهم مراجعه ، ومن ذلك كتاب الإحكام للآمدى ، واختصر ابن الحاجب هذا الكتاب فى مصنف سماه منتهى السول والأمل ، ثم عاد فاختصر المنتهى فى كتاب عرف عند الأصوليين بمختصر ابن الحاجب ، قال عنه صاحب كشف الظنون : هو مختصر غريب فى صنعه ، بديع فى فنه ؛ وظفر هذا المختصر بعناية العلماء حتى فاق فى ذلك كتاب المحصول

وظفرت المكتبة العربية فى مادة أصول التربية بمحصول ضخم ، فقد عنى فى هذا العصر بعلم الكلام لتصحيح العقيدة الدينية والدفاع عنها ، فى وقت كان من أشد الأوقات اصطداما بالعقيدة المسيحية . وكثيرا ما كانت المناظرات تجرى بين رجال من الصليبيين ورجال من المسلمين ، ويروى ابن شداد فى كتابه النوادر السلطانية (ص ٨٠) بعض هذه المناظرات

ويضاف إلى هذا العامل ما كان بين الشيعة وأهل السنة من الخلاف فى بعض العقائد ، وما كان بين الأشاعرة والحنابلة من خلاف دفع كل فريق من هؤلاء إلى أن يدافع عن عقيدته

وكان الإنتاج فى هذه المادة ممثلا لتلك الحركة وصدى لها ، فرأينا كثيرا من العلماء قد تصدى للرد على النصارى والدفاع عن عقيدة الإسلام كالوزير القفطى ، والقرافى الذى سمى كتابه :

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

أستاذ جامعى يقول :

لم أكن أحب أن أعود الآن إلى الدكتور عبد الرحمن بدوى ... لم أكن والله أحب أن أعود ، ولكن ماذا أفعل وهو يجبرنى على العودة إجبارا ويدفعنى إليها دفعا دون أن يترك لى شيئا من الحرية أوشيئا من الاختيار ؟! وما ذنبى إذا كان الأستاذ الجليل والفيلسوف الكبير قد أعجب كل الإعجاب بقصة مالك الحزين ، حتى لقد مثلها بالأمس على مسرح الفكر ثم عاد اليوم ليمثلها مرة أخرى على مسرح الحياة ؟ ! هل تذكر دوره الخالد الذى قام بتمثيله خير قيام على صفحات كتابيه « أرسطو عند العرب » و « الإشارات الإلهية » ؟ ليس من شك فى أنك تذكره ، لأن آثار التصفيق الحاد لا تزال واضحة على كفيك ... إن هذا الدور الخالد — أقصد دور مالك الحزين — قد مثل من جديد ببراعة ليس لها نظير ، وصفق اليوم بقوة كما صفقت بالأمس ، وإياك أن تستهجن حركات الممثل البارع فتملأ الجو بالصفير ! !

هل قرأت جريدة « الأساس » فى عددها الصادر يوم ١٩ فبراير ؟ إذا لم تكن قرأتها فقد نبنا عنك فى قراءتها لننقل إليك هذا النبأ المثير ... قالت الجريدة فى صفحتها الثالثة وتحت هذا العنوان : « اقتراح جديد لعله يفيد » ، قالت فى مجال حملتها على وزارة المعارف وتعريضها بشراء الكتب الإضافية : « تلقينا من الدكتور عبد الرحمن بدوى أستاذ الفلسفة بجامعة ابرهيم كلمة يعلق بها على المناقشات الدائرة حول ما يؤخذ على وزارة المعارف فى شرائها كتب المطالعة الإضافية المدارس وكتب المكتبات . وقد تضمنت كلمته اقتراحا جاء فيه :

« عندى اقتراح برفع الأمر عن كليهما ؛ وقديما قال حكيم : من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن ، هو أن نبعد الشبهة ومواطنها فتلغى وزارة المعارف نظام شراء الكتب غير الدرسية أياكان نوعها . وعلى المؤلفين أن ينزلوا إلى

الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، والديربى فى كتابه : إرشاد الحيارى فى ردع من مارى

وفى عصر سيادة السلطان الشيعى رأينا طلائع به رزيك يؤلف كتاب الاعتماد ، فى الرد على أهل العناد ، وعند ما زالت دولة هذا المذهب رأينا العلماء يتصدون للرد عليه ، فرأينا مثلا بهاء الدين القفطى يؤلف كتاب النصائح المفترضة فى فضائح الرفضة ، ولما ساد المذهب الأشعرى تصدى العلماء لنصرته والدفاع عنه ، فكتب ابن عساكر رسالة يرد فيها على من انتقص الأشعرى ، وأخذ الأشاعرة يردون على من خالفهم من المعتزلة والحنابلة ، وحاول بعض العلماء التوفيق بين المذهبين كما فعل ذلك عبد الغنى النابلسى فى كتابه التوفيق الجلى بين الأشعرى والحنبلى

وضع علماء ذلك العصر كتبا تتناول مسائل علم الكلام من إلهيات ونبويات وسمعيات ، وعرفت من هذه الكتب زهاء عشرين ، منها ما وضعه ابن دقيق العيد ، والعز بن عبد السلام .

وأكثروا من كتابة عقائدهم التى يدينون الله بها ، ونستطيع أن نرى نموذجا لما كتب من هذه العقائد فى عقيدة العز بن عبد السلام ، وهى برمتها فى كتاب طبقات الشافعية للسبكى (ج ٥ ص ٨٥)

وعالج بعض العلماء كثيرا من المسائل الجزئية التى كانت موضع جدل فى ذلك العصر ، مثل مسألة القضاء والقدر ، وقد نالت من عناية رجال هذا العهد حظا موفورا ، ومسألة الثواب والعقاب وهى ترتبط بالمسألة السالفة ارتباطا وثيقا ، كآثار الحنابلة موضوع صفات الله ، ومعنى ثبوتها له ، والقرآن وقدمه وحدوثه ، فرأينا كتبا تتناول هذه المسائل بالبحث والتفصيل

ومن أشهر متكلمى هذا العهد شهاب الدين الطوسى ، وسيف الدين الآمدى ، وعلاء الدين الباجى

للكلام صلة — أحمد أحمد بدوى

السوق والجمهور ، فهو الفيصل النهائي في تقدير أعمالهم ، وليس لجنة ولاهيئة يعلم الكل بأي وحي تسير ووفق أي هوى تعمل ... وفي هذا الاقتراح مايشرف كرامة المؤلفين ، ويصون قيمة الأعمال العلمية والأدبية ، ويحررهم من عبودية الدولة ، باستجدائها وعتق رضاها . والمفكر والأديب الحق هو الذي يحرص على هذه الحرية وتلك الكرامة ، فينزل إلى جمهور القراء وجها لوجه . ولسنا نعرف في أمة متحضرة مثل هذا التسول العلمي والأدبي الذي يلجأ إليه المؤلفون لدى ديوان العطاء الحكومي ... فهل يتفضل معالي وزير المعارف فيحسم الأمر بهذا الاقتراح ، وهو أحرص الناس على كرامة العلم والأدب »

هذا هو نص الاقتراح الذي تفتقت عنه عبقرية العالم الجليل السيد بدوي ... اقرأه بعناية ، ثم تقبل مني أحر الرجاء بأن تقف طويلا أمام تلك الكلمات التي تحتها خط ، لأن مالك الحزين طيب الله ثراه هو الذي ضغط على يدي لتضع هذا الخط الامين تحت تلك الكلمات .. إن العالم الجليل هنا يتحدث عن الحرية ، ويتحدث عن الكرامة ، ويلقي على الأدباء « المتسولين » درسا لن ينسى الدهر روعة ألفاظه ومعانيه ! هل تصدق أنني حين قرأت تلك الكلمات منذ بضعة أيام ، قفز إلى ذهني خاطر عجيب هو أن السيد بدوي إنسان يستحق الاحترام ؟ لقد قلت لنفسي يومئذ إنني سأغتفر له فضائحه العلمية التي هزت سمعة الجامعة ، وسأذكر له بالخير أنه إنسان ينظر إلى الكرامة على أنها شعار كل عالم وأديب . . . وما أجدر المفكرين الأحرار الذين عناهم العالم الجليل بكلماته ، ما أجدرهم أن يعوا هذا الدرس القيم ليحفظوا ماء الوجوه وكرامة النفوس ، حين يبتعدون عن مثل هذا « التسول » العلمي والأدبي الذي يلجأ إليه البعض لدى ديوان العطاء الحكومي !

هذا ما قلته لنفسي يوم أن وقعت عيناي على اقتراح العالم الجليل ، وعذري أنني ظننت أنه كريم جدا على نفسه ، لا يرتضي لها أن تهبط إلى هذا الدرك « الوضيع » الذي يهبط إليه غيره من الأدباء المتسولين ، حين يجنبون من اقاء الجمهور فلا يجدون أمامهم من طرق الاستجداء غير وزارة المعارف ... ولكن العالم الجليل قد خيب ظني في مثاليته ، لأن هذه المثالية كانت حبرا على ورق ، شأنها في ذلك شأن المعاهدات السياسية في هذه الأيام !

لقد قال حضرته للناشرين في كتابه « أرسطو عند العرب » إنكم جهلاء ، ثم راح يرسم لهم الطريق ، ثم ما لبث أن صافح الجهل وعانقه وقبل خديه في « الإشارات الإلهية » .. وقال حضرته للمؤلفين في كلمته التي نشرتها « الأساس » إنكم غير كرماء ، ثم ألقى عليهم درسا في الكرامة ، ثم ما لبث أن قادته قدماه إلى وزارة المعارف ليطمئن على كتبه الغالية . . أعني ليتسول على حد تعبيره البليغ

لقد قلت لك إن هذا الدور الخالد — دور مالك الحزين — قد مثل من جديد ببراعة ليس لها نظير . . وصفق اليوم بقوة كما صفقت بالأمس ، وإياك أن تستهجن حركات الممثل البارع فتملأ الجو بالصفير ! إنه حظ سيئ ذلك الذي أوحى إلى العالم الجليل بأن يذهب إلى وزارة المعارف ليتسول على مرأى ومسمع من كاتب هذه السطور ؛ حظ سيئ لأنه لم يكن يعلم أنني أعمل هناك ، في تلك الإدارة المختصة بفحص الكتب والتأشير عليها بالرفض أو بالقبول . . وحظ سيئ للمرة الثالثة حيث حضر إلينا العالم الجليل في يوم الأحد ٢٥ فبراير ، وحديثه عن التسول والمتسولين لم يجف له مداد !

إنها خمسة أيام فقط بين حديثه عن الحرية ، والكرامة ، والتسول العلمي والأدبي ، وبين مجيئه إلى وزارة المعارف ، وسؤاله عن كتبه التي رفضت ، وشكواه إلى المسئولين من أن مواهبه الفذة لم تكن محل رعاية وتقدير ! !

والها من لحظة تلك التي لن ينساها صديقنا الدكتور محمد يوسف موسى وغيره من حضرات الزائرين ، حين تطرق الحديث إلى مقالات « الرسالة » و « الثقافة » حول الفضيحة العلمية التي هزت سمعة الجامعة ... لقد كان النقاش دائرا حول العالم الجليل حين فتح باب الحجرة ، ونفذ منه رأس ملئ علما هو رأس الدكتور عبد الرحمن بدوي ! إلى هنا وأقف قليلا لأنقل إليك مشهدا من المشاهد يندر أن ترى له مثيلا على شاشة السينما أو خشبة المسرح ،

وأعنى به مشهد الدكتور بدوى حين وقعت عيناه على كاتب هذه السطور ... لقد أذهلته المفاجأة حتى وقف فى مكانه من الحجرة حائرا لا يريم : لا خطوة إلى الخلف ، ولا خطـوة إلى الأمام ، ولا كلمة ينقذ بها نفسه من بسمات الشفـاه ونظرات العيون ! هل رأيت فى حياتك فأرا صغيرا قد أطبقت عليه مصيدة لم تكن له فى حساب ؟ إذا كنت قد رأيته فحسبك هذا الإيجاز وأعفنى من مشقة الإطناب . . ولا أطيل عليك فقد أشفق عليه أحد الزملاء ونهض ليصحبه إلى الحجرة المجاورة ، وهناك أخبره العالم الجليل بسبب مجيئه ، وهو أنه أراد أن يطمئن على كتبه الغالية ! وما كان أخبث الزميل الفاضل حين لحق به ليقول له : لقد فحصنا كل كتبك يا دكتور .. حتى « الإشارات الإلهية » !

وأترك هذا كله لأعقب على رسالة للأديب الفاضل محمود أحمد الشربينى بكلية الآداب جامعة فاروق ، حيث يوجه إلى فيها هذه الكلمات : « أريد أن أسألك يا سيدى ... إذا كان هذا هو فهم الدكتور عبدالرحمن بدوى للنصوص العربية التى هى جزء من لغته ولغة أجداده ، فكيف يكون فهمه للنصوص الفرنسية مثلا وهى جزء من لغة أخرى لا يعقل أن يجيدها إجادته للغته ؟! يخيل إلى أن الحقيقة قد بدأت تتضح لى ، بعد أن كنت أتهم نفسى بالغباء كلما قرأت للدكتور بدوى كتابا مترجما عن لغة أجنبية ! فمن المؤكد أنه لا يفهم النص الذى يترجمه حق الفهم ، ولهذا تبدو أكثر ترجماته وهى ملتوية وغامضة ، ولو كانت واضحة فى ذهنه لانعكس هـذا الوضوح فى نقلها إلى العربية ! أليس كذلك يا سيدى ؟ إننى فى انتظار جوابك » !

هذه هى كلمات الأديب الفاضل ، وردى عليها هو أن أقول له : إنك لم تعد الصواب فى هذا الذى ذهبت إليه ، ولست أدرى كيف كنت تتهم نفسك بالغباء وأنت تملك هـــذا القدر من الذكاء .. إن ذكاءك بخير يا صديقى ، لأنك لو كنت غبيا لاستطعت أن تفهم كتب السيد بدوى المترجمة عن لغات أجنبية ! حسبك أن معالى الدكتور طه حسين باشا قد قال له يوم أن كان يناقشه فى رسالة الماجستير : إن الشئ الذى يحيرنى هو أن اللغة الفرنسية وهى لغة الوضوح والإبانة ، تصير على يديك وهى لغـة الغموض والتعقيد ! !

بعد هذا أود أن يرجع الأديب الفاضل إلى « تعقيبات » العدد (٨١٩) من الرسالة ، ليقرأ هـذه الكلمات التى كتبتها منذ عامين ، وهى تثبت أن بعض النابغين من طلاب المدارس الثانوية ، يفهمون اللغة الفرنسية خيرا مما يفهمها العالم الجليل :

« تحدث الدكتور عبد الرحمن بدوى فى عدد (شباط) من مجلة الأديب اللبنانيـة عن مسرحية الأيدى القذرة « Les Mains Sales » للكاتب والفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر .. ولقد استوقفنى ما جاء بمقاله من ترجمة خاطئة لبعض كلمات رأيت أن أصححها ، حتى لا تبعد الشقة بين أصلها فى الفرنسية وبين ما يقابلها فى العربية .

ترجم الدكتور بدوى هذه الكلمات « La Potain Respectueuse » وهى عنوان مسرحية لسارتر بـ « العاهر المهيبة » ؛ وهنا يبدو شئ من الانحراف فى الترجمة لا يستقيم معه المعنى سواء أكان منسوبا إلى عنوان المسرحية أم كان منسوبا إلى الفكرة التى بنيت عليها .. إن المهابة كما يدل عليها موضوع المسرحية وكلمة « Respectueuse » لا تنسب إلى « العاهر » وإنما تنسب إلى المحيطين بها من عشاق الجسد ، أولئك الذين كانت ترحب بهم وتحتفى بمقدمهم ؛ وإذن تكون الترجمة الصحيحة هى « العاهر الحفية » ... أما « العاهر المهيبة » فلا يقابلها فى الفرنسية غير هذه الكلمات « La Potain Respectable » !

وترجم الدكتور بدوى عنوان مسرحية أخرى لسارتر ترجمة خاطئة وهى مسرحية « La Nausée » حيث قابلها بكلمة « القرف » ، مع أن ترجمتهـا الدقيقة هى « الغثيان » ... والفارق بين الترجمتين بعيد ! إلى آخر ما قلته فى هذا المجال » ...

ومع هـذا كله فلا يزال السيد عبد الرحمن بدوى أستاذا فى الجامعة !!

شاعر فى الميزان :

أدباء السودان الذين يتلقون العلم فى القاهرة عاتبون على ، ومصدر العتاب الذى يمتزج بالدهشة حينا وبالعجب حينا آخر ، إلى أننى لم أقرأ شيئا من شعر شاعرهم الراحل : التيجانى يوسف بشير ! هذا ما جهرت به فى العدد (٩٢٠) من الرسالة حين طلب إلى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حب الرافعي :

« وبعد فقد كدت أخرج رأى فى حب « الرافعى » بعد أن فرغت من قراءة كتابه « رسائل الأحزان » ، بيد أنى تذكرت ما كتبته فى (الرسالة) منذ عامين ، فرجعت إليه أتلمس الحقيقة ، وأنشد الفائدة ... وفتحت عينى على جديد، إذ رأيت كل ما كتب عن هذا الموضوع لا يكاد يكون فيه ما يطمئن إليه الباحث ، ويرضى التاريخ ... والواقع أن صدق « الرافعى » فى حبه ، أو نقص « الصدق الفنى » فيما كتبه فى « تصوير العواطف ، وفلسفة الحب والجمال » أمر له خطره وأثره فى أدب الرجل ، وعقول قرائه

ولقد آثر الأستاذ (العريان) أن يكون « راوية » فحسب .

والحق أنى حين رجعت إلى كتابه (حياة الرافعى) ممحصاً له رأيت أنه يلقى أكبر ضوء على هذا الموضوع الذى شغل الأذهان وقتاً ما ، وهأنذا أضع بين يديك من الأدلة ما يثبت أن (الرافعى) كان صادق الحب ، وأن ما كتبه فيما يمت إلى ذلك بسبب لم يكن يعوزه « الصدق الفنى » ولك بعد ذلك حرية الرأى أن توافقنى فيما أذهب إليه ، أو تطلع علينا برأى جديد ...

يقول الأستاذ (العريان) — وإن كان لم يذكر اسم « مى » — :

« ... كان يحبها حبا عنيفاً جارفاً لا يقف فى سبيله شئ ، ولكنه حب ليس من حب الناس ، حب فوق الشهوات وفوق الغايات الدنيا ، لأنه ليس له مدى ولا غاية . لقد كان يلتمس مثل هذا الحب من زمان ليجد فيه ينبوع الشعر وصفاء الروح ، وقد وجدها ولكن فى نفسه لا فى لسانه وقلمه ، وأحس وشعر وتنورت نفسه الآفاق البعيدة ، ولكن ليثور بكل ذلك دمه ، وتصطرع عواطفه ، ولا يجد البيان الذى يصف نفسه ويبين عن خواطره ... »

ثم يقول بعد ذلك :

« ... لقد أحبها جهد الحب ومداه ، حباً أضل نفسه وشرد

زميل لهم من « أم درمان » أن أتحدث عن شعر التيجانى إلى جمهرة القراء ... لقد كان عذرى فى هذا الذى جهرت به ، هو أن ديوانه « إشراقة » لم يقع بين يدى فى يوم من الأيام !

قلت هذا على صفحات « الرسالة » ، منبها إلى أننى لن أتأخر عن النظر فى شعر التيجانى إذا ما تفضل أحد القراء فبعث إلى بديوانه ... ومنذ أيام أربعة تلقيت هذا الديوان ؛ تلقيته من الأديب الفاضل عيسى أحمد عيسى كنفحة من نفحات الوفاء . واليوم ، وبعد أن فرغت من ديوانه وأرسلت الذوق وراء أبياته، أستطيع أن أتناول قلمى لأكتب عن التيجانى يوسف بشير ، الشاعر الذى كشفت لى عن جوهره الثمين رسالة من أم درمان !

وفى عدد مقبل من « الرسالة » سيكون لى مع شعر التيجانى موعد ولقاء

كلمة عن صديق :

كتب إلى الأديب الفاضل وحيد الدين بهاء الدين (كركوك — العراق) ، يسألنى عن الأديب العراقى الصديق الأستاذ غائب طعمة فرمان ، شهيد الظلم فى العراق وطريح الفراش فى مصر ... يا أخى ، إننى أشكر لك سؤالك ووفاءك ، وإذا كنت تطلب إلى بحق الصداقة أن أزوره لأخفف عنه وأطمئن عليه فإننى أقول لك: إن حقوق الصداقة فى حساب الشعور شئ مقدس ... ولك أن تثق من أننى قد زرته وسأزوره حتى يشعر بأنه فى وطنه وبين أهله !

إن الصديق للعراق بخير ، وأرجو أن يغادر المستشفى فى الغد القريب ليستأنف جهاده فى طلب العلم وخدمة الأدب ... كتب الله له أن يستروح أنسام العافية ويقبس من ضياء الأمل

أنور المعداوى

فكره ، وسلبه القرار ، ولكنه حب عجيب ليس فيه حنين الدم إلى الدم ، ولكن حنين الحكمة إلى الحكمة ، وهفوة الشعر إلى الشعر ، وخلوة الروح إلى الروح في مفاجأة طويلة كأنها تسبيح وعبادة ، وأسرف عليه هذا الحب حتى عاد في غمراته خلقاً بلا إرادة ، فليس له من دنياه إلا هي ، وليس له من نفسه إلا ما تهب له من نفسه ... »

ويقول أيضاً :

« ... وكان بحبها ليجد في حبها ينبوع الشعر ، فما وجد الحب وحده ، بل وجد الحب والألم ، وثورة النفس وقلق الحياة ، ووجد في كل أولئك ينابيع من الشعر والحكمة تفيض بها نفسه وينفعل بها جنانه ويضيء بها فكره ، وكان آخر حبه الألم ، وكانت آلامه أول قدحة من شرار الشعر والحكمة ... وقالت له نفسه :

« ها أنت قد بلغت من الحب ما كنت ترجو فلم تبق إلا الغاية الثانية ، وإنك عنها لمف كريم ... »

... مما تقدم نرى أن (الرافعي) كان صادقاً في حبه إلى حد بعيد ، صادقاً فيما كتب عن ذلك الحب ، ولولا ضيق المقام لأوردت أكثر من ذلك مما يدعم وجهة نظري في هذا الموضوع ، ولكن هذا حسبي ، ولك بعد ذلك رأيك ولعل أحداً من تلاميذ (الرافعي) ينجم علينا بجديد يفيد . ا

وفي النهاية تقبل شكر وتقدير المخلص :

اسكندرية صبري حسن الباقوري

كشكول الأسبوع

□ كان مقررا أن يحتفل بالذكرى الألفية لابن سينا في أكتوبر سنة ١٩٥٠ ببغداد ولكن رؤى تأجيل هذا الاحتفال الى ربيع سنة ١٩٥٢ ، وذلك لاعتبارات سنفصلها في الأسبوع القادم مع بيانات أخرى في موضوع هذه الذكرى .

□ رشحت لجنة جائزة نوبل لسنة ١٩٥١ الفنان السوري السيد ميخائيل اللاوردي لنيل هذه الجائزة ، لكتابه « فلسفة الموسيقى الشرقية » المؤلف باللغة العربية ، ولم يقتصر السيد اللاوردي على دراسة المسائل الموسيقية من وجهة الفن البحت ، بل دعا الى توحيد لغة الموسيقى في العالم ، ليكون ذلك وسيلة إلى التفاهم بين الأمم ، ثم الى السلام العالمي .

□ توفي الكاتب الفرنسي أندريه جيد في يوم ٢٠ فبراير الحالي وهو في الحادية والثامنين من عمره . وكان جيد عميد الكتاب الفرنسيين وله عدا ذلك مكانة أدبية عالية ، وأحرز جائزة نوبل في الأدب سنة ١٩٤٧ وقد ترجم له الى العربية عدة مؤلفات منها مسرحية « أوديب » و « الباب الضيق » ترجمة معالي الدكتور طه حسين باشا .

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية أن هيئة الأمم نظمت منهاجا لتدريب المدرسين من مختلف البلدان العربية بين ٨ و ٢٢ ابريل المقبل في مدينة بيروت تحت إشراف مؤسسة الثقافة الدولية

□ من المسائل المعروضة على اللجنة العليا لترقية التمثيل العربي ، إقامة مباراة في التأليف المسرحي تكون جائزة الرواية الفائزة فيها ٤٠ جنيه يضاف إليها ٨ ./· من إيراد الشباك .

□ أذاعت بلدية هورشام الانجليزية أن الحكومة المحلية أدخلت الشجرة التي كان الشاعر الانجليزي الكسندر بوب يكتب أشعاره تحت ظلها — ضمن برنامج صيانة الأشجار .

□ قررت العصبة الإسلامية في شرق الباكستان الدعوة الى جعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية .

يشير الأستاذ الباقوري إلى ما كتبته في « الرسالة » منذ عامين عن « حب الرافعي » والذي قلت إذ ذاك أن أثبت برأيين للصديقين الأستاذين حسنين حسن مخلوف وكامل محمود حبيب في هذا الحب ، يرى الأول أن الرافعي أراد أن يحدث في اللغة العربية لوناً من الفن الممزوج بالفلسفة الاجتماعية التي سرها إيحاء المرأة على النحو المستفيض في الأدب الأوربي ، فطلب الحب لذلك . ويرى الأستاذ كامل حبيب أن الرافعي كان يشعر بجفاف قلبه لشدة تدينه فطلب الحب ليندي به قلبه ويرقق أسلوبه . وارأيان - كما ترى - يرميان إلى أن حب الرافعي كان حبا مصنوعاً أو مجتلبا يقصد منه إلى إحداث لون من الإنتاج الأدبي . وقد علقت على ذلك فكان مما قلته « وإن شاء بعد ذلك أن يقول إن ما كتب الرافعي في تصوير العواطف وفلسفة الحب والجمال ينقصه الصدق الفني »

والفقرات التي نقلها الأستاذ الباقوري من كتاب « حياة الرافعي » إنما هي عبارات مختارة في وصف الحب ، وغيرها ما يدل على أن الرافعي كان يطلب الحب ويبحث عنه ليشعر بمعانيه ويكتب فيه . ولا أرى في ذلك ما يدل على صدق الحب ، لأن العاطفة لا تطلب ، وإنما تأتي ولو جانب الإنسان أسبابها

وكتاب « رسائل الرافعي » الذي أصدره أخيراً الأستاذ محمود أبو رية يلقي أضواء في هذا الموضوع ، إذ نرى

الرافعي في هذه الرسائل الخاصة يحدث أبا رية ، لا عن « مي » وحدها ، بل عن أخريات ، فيقول في رسالة منها « وقد جاء الشيطان فعرض علي (عينات) جديدة ... كأنه أخزاه الله كتبي يعيش من بيع هذه الكتب فهو يريد الإكثار منها » يعني أن هذه (العينات) من الجميلات يستمد منها ما يؤلف في الحب ... ويقول في أخرى : « واليوم نجد لي قطعة في الضياء عن (سونية) وهي لا بأس بها ولكن سونية ... » ويقول في ثالثة « ولكن صاحبة فلسفة الجمال قد انتهى تاريخها ، وهل يبدأ تاريخ آخر لصاحبة فلسفة أخرى ؟ ربما يا أبا رية ، أما الأولى فلم يعد لها أي شأن الآن وهي لا تساوي من الثانية شيئا أو لكن هل يبدأ للثانية تاريخ وفلسفة ؟ إن أولها كان أمس فقط في مصر »

وهكذا نراه لا يقف عند واحدة ولا يتمسك بحب واحد ، فصاحبة الفلسفة القديمة انتهى أمرها ، ووجدت صاحبة فلسفة أخرى ، وهناك (العينات) الأخرى ، ولا تنس سونية ... ومن ذلك نفهم أن الرجل كان يطلب المرأة هنا وهناك ؛ ولم يقصر حبه أو طلبه على واحدة ؛ ويقول إنه يقصد بذلك إلى تجديد في الأدب العربي كما يقول في إحدى تلك الرسائل عن كتابه أوراق الورد « وقد صح عندي بعد البحث أنه لا يوجد في اللغة العربية رسالة واحدة ذات قيمة في هذا الباب من أول تاريخها إلى اليوم » ثم يقول « وثق يا أبا رية أن هذا الكتاب الصغير هو أهم وأحسن ما كتبت كما أني لم أتعب في شيء مثل تعبي فيه، وربما يبيض الرسالة الواحدة في أربع ساعات لأن الغرض الأول من الكتاب إعطاء العربية هذا الكنز الذي ليس فيها » وقد عبر في هذه الرسائل غير مرة عن شدة تعبه في كتاب أوراق الورد وقال في إحداها إن الكتابة فيه عسرة جدا

وذلك كله يشكك في صدق ذلك الحب لأنه كان يطلبه والحب لا يطلب ؛ وكان ينتقل من التعلق بواحدة إلى غيرها ؛ وكان هدفه أن يكتب في الحب ؛ والكتابة إنما تأتي من فيض الحب الذي يغزو صاحبه ، ولو أن قيسا ذهب إلى بني عامر ليطلب امرأة تعينه على قول الشعر لكان لشعره شأن آخر ... ولو أن الرافعي كان صادق الحب لألهمه القول طبيعيا طيعاً لا يجد فيه عسرا ولا يحتاج إلى ساعات يبيض فيها الرسالة الواحدة ، ولما انشغل بقيمة الكتاب وما يكون له من مكانة في الأدب ، وقد ذهب به هذا الانشغال إلى حد قوله في إحدى الرسائل « وقد كان عندي بالأمس أحد الأدباء المطلعين على الآداب الإنجليزية فأقرأته بعض رسائل منها (يعني من أوراق الورد) فقال إن مثل هذا لا يوجد في الأدب الإنجليزي »

وفي ضوء ذلك كله ، وفي ضوء ما قرأته في أوراق الورد وغيره يمكن أن نسمي ما كتبه الرافعي في هذا الصدد فلسفة حب وجمال منبعها التأمل العقلي مصوغة في أسلوب محتفل له أشد الاحتفال ولكن من العسير أن نجد به نبض عاطفة طبيعية .

مسرحية « في خدمة الملكة »

أصل هذه المسرحية رواية « الفرسان الثلاثة » للكاتب الفرنسي إسكندر ديماس الكبير ، وقد أعدها الأستاذ إسماعيل أرسلان إلى فرقة المسرح المصري الحديث ، وذلك باقتباس بعض حوادث الرواية وكتابتها في حوار مسرحي ، وأخرجها الأستاذ زكي طليمات

وتجري حوادثها في عهد الملك لويس الثالث عشر ، وتصور ما كان يجري في قصر هذا الملك من دسائس ومؤامرات ، والصراع الرئيسي فيها بين الملكة « آن » وأعوانها وخاصة وصيفتها « مدام بوناسييه » والفارس الفتى « دار تانيان » وبين الكاردينال « ريشليو » رئيس وزراء فرنسا وأعوانه . وموضوع الصراع علاقة غرامية بين الملكة وبين « اللورد باكنجهام » من أشراف انجلترا . تشعر الملكة بأن هذه العلاقة تمس شرفها ولا تتفق مع مركزها كملكة في عصمة ملك فرنسا ، فتستدعي حبيبها اللورد سرا وتفضي إليه بذلك طالبة منه أن يرحل إلى بلاده ويقطع صلته بها ، فيخضع للأمر ويطلب منها هدية يذكرها بها ، فتهدي إليه حلية مرصعة باثنتي عشرة ماسة . ويعلم بذلك ريشيلو فيبث عيونه للبحث عن اللورد ، ولكن هذا يفلت منه إلى انجلترا . ويعمل ريشيلو - بوساطة جاسوسة في إنجلترا - على سرقة ماستين من الحلية ، ويشير على الملك أن يطلب إلى الملكة لبس الحلية في حفلة بالقصر . وتعلم الملكة بذلك فتعمل للخروج من هذا المأزق بمعاونة وصيفتها والفتى دار تانيان الذي يسافر إلى انجلترا لإحضار الحلية من لدن اللورد باكنجهام

ولما يكشف اللورد سرقة الماستين يأمر بصنع أخريين مثلهما ، ويعود دارتانيان بالحلية كاملة ، فتظهر بها الملكة في الحفلة ، فيفسد تدبير الكاردينال ، وتنتهي المسرحية بانتصار الملكة آن. ويبرز في خلال هذه الحوادث نفوذ ريشليو الذي يرجح نفوذ الملك لويس الثالث عشر الضعيف الشخصية ، ويكاد الأول يطغى على الثاني لولا شجاعة فرسان الملك وخاصة دارتانيان

وينبغي أن أقول قبل كل شيء إن نجاح هذه المسرحية يرجع إلى أمرين ، الأول هو هذه الجذوات المتقدة بين جوانح هؤلاء الشباب - ممثلي الفرقة وممثلاتها - المتطلعين إلى مستقبل يجنون فيه ثمرات جهودهم الحاضرة ، وهذه الجذوات هي أهم ما يميزهم عن الممثلين القدماء الذين وصلوا أو يئسوا ...

وقد برز في تمثيل هذه المسرحية صلاح سرحان (دارتانيان) فقام بدور الفارس الصغير الذي يدفعه روح الفروسية إلى الإخلاص في خدمة الملكة وإنقاذها مما يحاك لها من شباك ، وعبد الغني قمر في دور مدير سجن الباستيل ، وقد أثبت عبد الغني - بهذا الدور وبدوره في مريض الوهم - براعته في تمثيل الشخصيات الشاذة وإبراز ما يقصد بها من معان وظلال في جو الرواية ، وزهرة العلا (مدام بوناسيه) كانت موفقة في أداء ما يتطلبه دورها من حركات وتعبيرات ، وكذلك أحسن كل من سعد قردش (ريشليو) ومحمد السبع (الملك لويس) ونور الدمرداش (اللورد باكنجهام) وسميحة أيوب (الملكة آن) أحسن كل منهم في دوره ، ويظهر أن سميحة كانت متعبة عند لقاء اللورد باكنجهام فلم تعط الحب المكبوت حقه في أن يطل خلال العزم على قطع الصلة بالحبيب

أما ثاني الأمرين اللذين يرجع إليهما نجاح المسرحية ، فهو أنها مقررة على طلبة الثقافة ، وبهذا ضمنت جمهوراً كبيراً يغص به المسرح في كل يوم من أيام عرضها . ويظهر أن هذا هو الحافز الأول على تقديم هذه المسرحية ، وهو غرض لا بأس به من حيث اجتذاب الطلبة إلى المسرح وتوطيد صلتهم بالفرقة

وبعد فإن المسرحية في ذاتها لا تحاكي شيئاً ذا بال ، فليس فيها تحليل ولا التفاتات إنسانية تذكر ، ولا حادثة تاريخية مهمة يقصد إلى تجليتها ، وهذا أدنى ما يهدف إليه في الروايات التاريخية والصراع ليس له غاية تستحق كل تلك الجلبة ، فكل ما في الأمر أن تنقذ الملكة من شبهة علاقتها الغرامية الحقيقية . . أي أن ينتصر الرياء ... ولهذا كان الختام يحتاج إلى أن يعلن عنه بمثل كلمة (خلاص !)

وقد استطاع الأستاذ زكي طليمات مخرج المسرحية - على رغم ذلك - أن يبث فيها التشويق وشيئاً من الحياة ، وكانت المناظر ملائمة وموحية ، وخاصة منظر سجن الباستيل الذي عبر عنه بالستارة التي جعلت جداراً للسجن

ولا بد أن الرغبة في الاقتصاد أو عدم القدرة وقلة الاستعداد ، هي التي جعلت منظر « الحفلة » التي لبست فيها الملكة حليتها كما ظهرت ، . فقد خيل إلى حين رفع الستار عن هذا المنظر أن الكاردينال يجمع أعوانه وجواسيسه ليضع لهم خطة العمل ، ولم أفهم أن هناك حفلة إلا من حديث المتحدثين على المسرح إذ قال بعضهم إنهم في حفلة ..

وقصارى القول - كما يقول المتشئون - أني لم أستطع أن أغتبط بهذه المسرحيـة ؛ وإن كنت أود للطلبة أن تعينهم مشاهدتها على أداء الامتحان .

عباس خضر



السارق العجيب !

هو مع الأسف الشديد الأستاذ إبراهيم المصرى الكاتب القصصى المعروف . فقد سطا على قصة أنطون تشيكوف «الرهان» وأضافها إلى نفسه ونشرها بالعدد ٨٥٢ من مجلة آخر ساعة تحت عنوان «الرهان العجيب»! وقدم لها بهذا الكلام الغريب:

«هذه الحادثة الواقعية الفذة فى موضوعها تعتبر من أغرب وأدهش حوادث المغامرات المثالية والعاطفية — وقد قرأت تفصيلاتها فى إحدى صحف باريس فرأيت فيها صورة رائعة مفعمة بروح القوة والبطولة والتضحية فصغتها للقراء فى هذا القالب القصصى» !

والقارئ العادى يفطن إلى هذه المغالطة التى يريد بها الأستاذ المصرى أن يغطى سرقته . فقصص تشيكوف من الذيوع والانتشار بحيث لا نكاد نجد فى القراء من لم يقرأها ولاف الأدباء من لم يحاول أن يترجمها إلى لغة الضاد ! . وهذا ما فعله الأستاذ الجليل محمد كامل الهنساوى بك فى كتابه « أقاصيص مأثورة » إذ ترجم قصة « الرهان » بالذات ترجمة أمينة بارعة ... وليس يستبعد أن يكون الأستاذ المصرى قد نقل عن «الأقاصيص المأثورة » قصة الرهان ثم أراد أن يطمس معالم السرقة فحشا القصة بحوادث مفتعلة وبواعث مصطنعة واستغل أبغض شئ إلى قلب تشيكوف فى مسخ القصة وهو العنف . . فإن تشيكوف ليقول : « إننى أبغض العنف فى كل صوره » ! . استغل الأستاذ المصرى العنف فجعله عنصرا جديدا لم يكن فى القصة الأصيلة فأحدث معركة بين بطل القصة المحامى الشاب وبين المول ... والغريب فى الأمر أنه جعل بطل القصة يصمد لعراك عنيف مع أنه قضى فى السجن الانفرادى سنة كاملة لا يدفع إليه فيه بغير الطعام والشراب .. ولست أدرى كيف لم يسلمه هذا السجن القاسى إلى جنون ! . وقد كان هذا يكون أسلم عاقبة من هذا الكلام الذى أنهى به الأستاذ المصرى قصته !

والمتأمل لقصة الرهان لتشيكوف يرى فيها عمقا وجلالا لايقوى عليهما ، غير ذهن جبار كذهن تشيكوف فالمحامى الشاب فى قصة « الرهان » عندما قبل الرهان كان يطمع فى أن يظفر بالمال . . ولكن تشيكوف الفيلسوف الذى يرى أن كل شىء فى الدنيا وهم وقبض الريح كان لا بد أن يغلب السعادة العقلية على كل سعادة مادية زائلة فجعل المحامى الشاب يخرج طائعا مختارا قبل موعد الرهان بدقائق معدودات لأنه كان قد قرأ فى سجنه طائفة من المعارف والعلوم خلقت منه فيلسوفا يزهد الحياة . . ولكن الأستاذ المصرى شوه هذه الفكرة الرائعة ومسخها فى قصة « الرهان العجيب » إذ أنهاها بشهوة منهومة إلى المال قضت على رجلين ودفعت بامرأة — زجها السارق فى القصة زجا — إلى السجن ! .

كمال رستم

حول أديب متعاظم :

من يقرأ التعقيب الذى نشر بالعدد ، ٩٢١ ، من الرسالة يظن أننا قد افترينا على شميم الحلى الكذب ، وحقيقة الأمر أن كاتب التعقيب قد رجع إلى معجم الأدباء فقط ، فظن أنه قد جمع كل ما يتصل بشميم ، وراح يعطينا درسا فى الأمانة والأخلاق !

وقد أبدى الكاتب عجبه لقصة «النائحات والنشيد الموضوع لهن» وظن أننا اختلقناها اختلاقا ، ولو رجع الكاتب إلى « أنباء الرواة » لقرأها هناك . والغريب أنها مذكورة بهامش معجم الأدباء ، ونسى الكاتب أن يقرأها كما قرأ غيرها من الأنباء !

ويلاحظ أن الناقد الفاضل لاينكر قصة السجود ، ولكنه ينسب الواقعة لشخص غير ياقوت مع «شميم» ونحب أن نقول له إننا تقيدنا بما روى المؤرخون عن « شميم » فجمعنا أخباره من شتى الكتب ، ووضعناها فى قالب حوار قصصى على لسان

ياقوت ، وليس يعيبنا ذلك فى شىء ما دامت الحوادث مدونة لم تختلق ؛ وإنى أتحدى الـكاتب أن يشير إلى حادثة لم توجد بالمراجع المدونة بالعدد « ٩٢١ » وفى هذا القدر كفاية

محمد رجب البيومى

الدخان فى الشعر :

أخى الأستاذ فتحى بسيونى

لقد دعوت رجال الشعر وأرباب القريض ليتناولوا « شرب الدخان » فى شعرهم ، وليسهموا فى وصفه ، محبذين تعاطيه ، أو صارفين عنه ، وكان مثار الغرابة عندك أن الشعراء المعاصرين لم يقوموا بهذا الواجب ، على حين أنهم ما برحوا ينظمون الشعر فى الخمر ، مادحين ومهاجين !

وأحب أن أقول لك : إن لى فى الدخان قصيدة نشرت فى مجلة الهلال بعدد شهر سبتمبر سنة ١٩٤٨ م ، وللأستاذ سلامة خاطر قصيدة فى الدخان أيضاً نشرت بمجلة الهلال أيضاً فى عدد أكتوبر سنة ١٩٤٨ م ، وقد نشرت لى مجلة الإسلام كلمة نثرية سنة ١٩٤٦ م بعنوان « الحبيب البغيض » حول الدخان كذلك !

ولقد كنت أدمن الدخان ، ولـكننى تركته منذ ثلاث سنوات وألفت فيه كتاباً عنوانه « فى الهواء » ما زال مخطوطا لتعنت الناشرين ، وندرة الورق ، وأزمة القراء ، وشدة الغلاء ، مع أنه كتاب فريد فى هذا الباب ، أوردت فيه تجاربى مع الدخان ، وآراء الأطباء والأدباء ، وعلماء النفس ، والطرق الناجعة للاقلاع عنه . وعندما تسمح الظروف ، وتسنح الفرصة، فيطبع الـكتاب؛ ستكون يا أخى أول من يهدى إليه ، لترى فيه ما بذلت ، وما كتبت عن هذه المادة التى تفشت بين الرجال والنساء ، والـكبار والصغار على السواء !

محمود محمد بكر هلال
المدرس بمدرسة سوهاج الأميرية

الدخان فى الشعر أيضاً

تحت هذا العنوان قرأت كلمة للأستاذ فتحى بسيونى دعبس عرض فيها لتقصير شعرائنا فى شأن « شرب الدخان » ومن الإنصاف أن أذكر أنى سمعت قصيدة رائعة للأستاذ على الجندى بعنوان « الحسان المدخنات » ألقاها من محطة الإذاعة منذ عهد قريب صور فيها غضبة الجمال الضرية على الدخان مازجا فيها الغزل الرقيق بالوعظ المؤثر

وأستطيع أن أصرح بأن لى قريبة حسناء أقلعت عن الدخان بعد سماعها هذه القصيدة

ولعل كثيرا من شعرائنا قالوا فى هذا الموضوع ولـكن لم يبلغنا

محمد عوضه

(١) تعليق على مقال « أسرى العطاسين »

قرأت مقالا بهذا العنوان للأستاذ حسنى كنعان وقد استوقفنى فيه قوله : « لم يسبق محاولة مسرحية فى سوريا قبل القبانى » ، والواقع أن المرحوم مارون النقاش هو أول من حاول تلك المحاولة. ومارون النقاش شاب سورى ولد فى صيداء وتعلم فى بيروت فنشأ ميالا للفنون الجميلة ، فأتقن فنون اللغة العربية ونظم الشعر ولما يبلغ الثامنة عشرة فضلا عن إتقان اللغات الفرنسية والإيطالية والتركية؛ وكان مولعاً بالموسيقى مشغوفاً بالسفر فسافر إلى مصر سنة ١٨٤٦ فى أواخر أيام محمد على باشا الـكبير ثم قصد إلى إيطاليا وهنالك تعلم فن التمثيل ونقله إلى بيروت حيث ألف فرقة من أصدقائه وألف أول رواية تمثيلية باللغة العربية أسماها « البخيل » ومثلها مع فرقته فى بيته عام ١٢٦٧ بحضور وجهاء البلد وقناصل الدول الأجنبية . ثم أردفهما برواية « أبى الحسن المغفل » ورواية « هارون الرشيد » ثم بعد ذلك أنشأ مسرحاً خارج منزله بفرمان سلطانى حوالى سنة ١٨٥٠ وقد تحول بعد وفاته سنة ١٨٥٥ إلى كنيسة حسب وصيته !

من هنا يتضح أن القبانى قد سبق بتلك المحاولة للمسرحية وأن سوريا — على الأقل — كانت تعرف فن التمثيل قبل ذلك التاريخ !

(٢) حول مقال « ثورة فى الجحيم » :

قرأت فيما قرأت فى (العدد ٩١٩) من الرسالة الغراء مقالا

طيبا للأستاذ حمدى الحسينى بعنوان « ثورة فى الجحيم » تكلم فيه بإيجاز عن الشاعر جميل صدقى الزهاوى وذكر فيما ذكر دواوينه الشعرية وحددها بخمسة دواوين آخرها ديوان الأوشال، والواقع أنها ستة دواوين آخرها ديوان الثمالة وقد طبع بعد وفاته فى مطبعة التفيض ببغداد عام ١٩٣٩ بمساعدة أرملة الشاعر. ومما يجدر ذكره أن معظم قصائد هذا الديوان كان نشرها صاحبها فى مجلة الرسالة الغراء . ولذلك اقتضى التنبيه .

كلية الحقوق ــ بغداد عبد الحميد الرشودى



الحب ألم

لرينيه ميزروا

بقلم الأستاذ كمال رستم

(هذه قصة فى يوميات لرينيه ميزروا « René Maizeroy » ألخصها لك . . وأجمل من التلخيص أن تقرأ القصة كما كتبها كاتبها فإن التلخيص يفقدها الكثير من مزاياها التى تفردت بها . . ولكن هذا لا يمنع من أن أنقل إليك ــ بقدر الإمكان ــ المتعة التى وجدتها وأنا أطالعها . . وأن أجعلك تأسى كما أسيت على العاشق « روبير دى بلينى » !)

* * *

« روبير دى بلينى » فتى من سراة باريس قدم « نابلى » على ظهر اليخت « النجمة البيضاء » . . وقد صادف مقدمه احتفال المدينة بذكرى استجابة القديسة « سانتا ماريا ديل كارمن » ضراعات القوم بأن بقى المدينة شر الأمطار ! .

شهد الفتى الاحتفال . . وكانت تصحبه « مس عبلى » و« البرنسيس داسبرامونت » . . وإذ يخلو الفتى إلى هذه الأخيرة يسألها قائلا :

— هل تأذن لى سيدتى بأن أسأل عمن عساها تكون هذه الفتاة اللطيفة التى كانت تتأمل بسخرية اليوم « النجمة البيضاء » ؟

وتهز البرنسيس داسبرامونت رأسها بسخرية قائلة :

— إنك يا عزيزى بلينى سابع شخص ألقى على هذا السؤال . . وليس يدهشنى هذا ما دامت ابنة خالتى « فوستين » فتاة سابية الحسن . . آسرة الجمال ! .

— فوستين . لكم يجلب اسمها السعادة ! .

ومع هذا فإن السعادة لم تقع للطفلة البائسة على صفة . . فقد انتهت حياة والدها « المركيز دى تيفيرون » ذات ليلة بالقتل على طريق « بوزول » وما لبثت زوجه أن لحقت به جزعا عليه وأسى ! .

— ومن الذى كفلها بعد وفاة والديها ؟ .

— كفلتها خالتها « دوقة دى ستابيا » التى تدين لها فوستين بابتسامتها الجميلة التى أسرتك !

.. وتقترب منهما فتاتان فيزداد وجيب قلب بلينى إذ تقدمه البرنسيس داسبرامونت إلى إحداهما قائلة :

— فوستين ! هذا هو السيد روبير دى بلينى . وهو يود أن يتحدث إليك ...

وتضطرب فوستين ... ويتضرج وجهها فيقول بلينى :

— هل جئتك متأخرا يا آنستى ؟

— على النقيض يا سيدى . . فقد كنا مس جراس : وأنا منشغلتين بتحليل كتابتك على الألبوم !

قالت مس عبلى :

— صحيح . . وقد جاء التحليل فى صالحك !

قالت فوستين :

— وما كادت صديقتى تطالعنى بأنك موسيقى موهوب . . وأنك لا تبارى فى الرقص حتى نازعتنى النفس إلى التعرف بك !

— مس عبلى هى اللطف بعينه . وإنى لأشكرها على صنيعها هذا الجميل !

— على أننى موقنة بأنها لم تبالغ فى وصف مواهبك ... أما عن نفسى فإنى أخشى أن أبدو مبتدئة فى الرقص !

وتواصل الكلام وقد جرت على شفتيها ابتسامة رقيقة فتقول:

— أيضايقك أن تمطينى هذا الدرس الصغير !

.. ويدلفان إلى صالون « النجمة البيضاء » ويلبيان نداء الفالس ويهمس بلينق قائلا :

— أتذكرين يا آنستى مثلنا السائر ... « كما يأتى الحب يمضى ! »

— شد ما أنت متشائم يا صديقى !

وتسعى أصابعها لتضغط على أصابعه وتهمس :

— أود أن أصنع لك هذه المعجزة !

.. ولكن الفتى يقف فجأة عن الرقص ... إذ يشعر كما لو كانت شوكة حادة استقرت فى عقبه الأيسر ... ويغيض الدم من وجهه ... ويستغرق الألم كيانه كله ... ويشله تماما عن الحركة وتصيح فوستين وقد أخذتها اللهفة على الفتى :

— رباه .. ماذا دهاك ؟

— ليس سوى خور .. خطوة خاطئة !

استند إلى ذراعى ودعنا نخرج من هنا .. فإن الهواء خليق بأن ينعشك ..

.. وإذ يعود الفتى إلى حالته الطبيعية يقول لنفسه :

— كم كان سخيفاً أن أموت .. وأن أخلف ورائى هذا الهناء كله !

وتقبل « مس عبلى » و« البرنسيس داسبرامونت » يصحبهما طبيب هو الأستاذ « موررياك »

* * *

.. وتطرى عيادة الدكتور « دينيز موررياك » الأستاذ بكلية الطب للفتى . ولكن الأمر يبدو له غامضاً كالسر .. وهو عاجز تماما عن تشخيص مرض بلينق أو تفسير الأزمة التى انتابته !. ويتحدث طويلاً إلى الفتى عن تلك الآلة المعقدة المساة « بالجسد الإنسانى » إلى أن يقول :

— أمن الممكن أن يحدث اضطراب عصبى مروع نتيجة حركة فصلت برهة شريان القدم .. أو الشظى القصير الجانبى بينا كنت تراقص الآنسة دى تيفيرون ؟ .. لقد استطلعت آراء بعض الزملاء . فكان إجماعنا على أنه ينبغى لك أن تأخذ حذرك من الآن !

— . أن تتنبه إلى هذا الإنذار ! أكرر لك أنه ليس طبيعيا أن يتعرض شاب شديد الأسر مثلك برىء من العيوب الجسدية لمدة خمس دقائق لموت محقق ؛ وأن يشعر برعدة الموت المروعة تسرى فى عروقه ! . ثم فجأة يتوقف هذا العذاب .. كما لو كان دعابة سخيفة

وإذ يخلو الفتى إلى نفسه يقفز إلى رأسه هذا السؤال : أصحيح أننى فى خطر . وأن هذا الطبيب الكريه إنما قرر الحقيقة ! ...

* * *

.. يخت « النجمة البيضاء » يتحرك مبتعداً عن الميناء .. ويريد بلينق أن يستطلع رأى « فوستين » عما إذا كانت تبادله الحب ورغب فى بقائه إلى جوارها حتى يكللا هذا الحب بالزواج فيمضى إليها ويطرح عليها السؤال التالى :

— فوستين ! أينبغى أن أرحل أم أبقى ؟

وتجيبه فى صوتها الحبيب بكلمة واحدة :

— إبق !

وتسلم شفتيه جبينها الوضىء . وعينيها النجلاوين .. وتستطرد هامسة :

— إننى أحبك أكثر مما تحبنى . وسأغدو زوجتك .. وإلا فإننى لن أمنح نفسى بعدك لغير الله

ويتم قرانهما

وها هو ذا بلينق فى منزل الزوجية يعزف إحدى سمفونيات بيتهوفن ، وفوستين زوجه فى حال من خدر الحس وسكرة النفس — جالسة على حافة النافذة تصغى إلى النغم الحالم الصادر من البيان .. ويهتف بلينق من أعماق نفسه قائلا :

— أتحبيننى .. أتحبيننى يا فوستين ؟ .

— نعم .. أحبك .. أحبك وما عيشى إلا لحبك .. إننى

سعيدة إلى حد يخيل إلى أنني أحلم !

.. وفجأة يتوقف بلينفي عن العزف إذ تعود إليه نوبة المرض وتهتف فوستين قائلة :

— أرجوك … لا تكف عن الإيقاع … ما أعذب موسيقى بيتهوفن في سكينة الليل !

* * *

تتكرر نوبات المرض .. ويغدو بلينفي قعيد عربة تجرها ممرضة بين دموع فوستين التي يشير عليها الأطباء بأن ترد عنها أحزانها إشفاقا على صحتها ، وأن تنطلق إلى الحياة وتعب من معينهـا الصافي لا من هذا الكدر الذي يصوح جمالها ويذوي جسدها !

وينقضي شهران يجتر فيهما بلينفي الألم ، ويبكي فيها سعادته الغاربة إذ يتأمل حاله ؛ ولكنه يذكر رجلا مقعدا يدعى « كونت دوجتربلاك » يبدو، أبدا ضاحك السن مرح الفؤاد .. ولكنه سرعان ما يلمس الفارق بينه وبينه ؛ إن الكونت رجل أعزب .. أما هو فقد دلف إلى حياة الحب وربط إلى عجلته .. فوستين !.

ويقع بلينفي فريسة لحلم يثبته هكذا في يومياته :

« وقع لي هذه الليلة كابوس مخيف كان مسرحه حديقتنا في (بوزيليب) .. ورحت في الحلم أنتحب كطفل .. لم تكن الأشجار إلا هيا كل عظمية شائهة تحكي فروعها الجرداء الشانق !

وكانت ثمة وردة وحيدة — لست أدري بأية معجزة تفادت الكارثة — كانت تخفق بلطف متلألئة .. نصف متفتحة كأنها شفتان تتأهبان لتلقي حلاوة القبلة الأولى !

.. وكان لها شذا فوستين !

وراح ضوءها ينتشر تدريجاً على بقعة الخراب .. مهددة من أثر هذا الحزن ؛ وكلما شرعت أستروح عطرها السحري .. وهممت بأن أقتطفها وأحملها بعيداً عن هذا اليباب .. شعرت بالوردة المعبودة تمد جذورها تشبثاً بالأرض . إذ ذاك دلف إلى الحديقة فتى غض الإهاب ، رشيق القوام ، متين البنيان حلو السمات .. واجتاز الممشى وعيناه عالقتان بالزهرة ، ويداه ممدودتان كما لو كانتا تسعيان إلى يدي حبيبة! .. وتفتحت الزهرة عن كمامها ، وتلألأت ، وخفقت على ساقها الواهن .. وقد نفثت عطرا نفاذا أصابني منه دوار !

وأردت أن أقبض على الدخيل وأن أسد عليه الطريق وأرده عن أن يدنس متاعي وأن يسرق ملكي .. كنزي !

.. وبذلت مجهودا فوق طاقة البشر لأزيح عن ساقي هذه الصخرة التي أثقلتهما .. وطلبت الغوث ، وضرعت إلى الله وتوعدت .. وسببت .. ودعوت غريمي للقتال واستشطت غضبا ، وقلقا .. ولكنه وقد أصم أذنيه عن ضراعاتي .. مستخفا بإهانتي ، مضى قدما إلى هدفه كأنه مسوق بقوة سحرية ! وإذ بلغ الوردة جثا أمامها وهمس بصوت خفيض : فوستين ! إذ ذاك رأيت الوردة العجيبة ، الوردة الوحيدة تميل على راحة الفتى وتهوى متناثرة الأوراق بين أنامله ! وسرعان ما ضرب نوقي ومن حولي نطاق غامض من الظلمات وثارت في وجهي عاصفة من الرمال ، وأعقب ذلك سكون الأبد .. والعدم .

* * *

وهذه نازلة أخرى تنزل ببلينفي : إن السيد فيليب سترادون الذي عهد إليه بكل ثروته .. بدد الثروة وأصبح بلينفي وكل ما يملكه بعض أراض في « بيريجور » وفندق في « نوبلي » .. ويلج الألم بالفتى إذ يذكر أنه عاجز عن العمل والكفاح .. فلو أنه سليم معافى لشق طريقه في الحيـاة ، ولمضى إلى الأرجنتين أو إلى كندا … وحسبه فوستين سنداً ومعيناً … فوستين … كيف يمكن أن تألف فوستين حياة الفقر والفاقة ؟

* * *

ويعوده الدكتور « دينيز موريان » فيسأله بلينفي أن يحدثه بصراحة عن مرضه فيقول له :

— إنك مصاب بمرض من أخطر الأمراض … مرض لم يأت ذكره في كتاب … ولم يعرف بعد في مستشفى … لا في أوربا ولا في آسيا … ومن شأن هذا المرض أن يحيل الأنسجة العضلية تدريجاً إلى عظام ، وهو يفضي حتما إلى الموت

— الموت ؟ بعد أجل قصير أو طويل ؟

— إني أجهل ذلك

ولكن الدكتور دينيز موريان الذي تطمح نفسـه إلى

ا كتشاف مع هذا الرفيق الجديد لا يتعرف من عنده قبل أن يظفر منه باتفاق يضع فيه بلينق جسده تحت تصرفه في مقابل أن ينقده الدكتور دينيز مبلغ ٥٠٠٠٠ فرنك سنويا إلى حين وفاته !

ويتأمل بلينق فوستين فيبهره تغيرها الفاجئ ... ويثبت في مذكراته حديث نفسه فيقول :

– كم تبدو فوستين سعيدة ! وكم تتحامى لقائي وتهمل شأني ... إنني لا أقوى على أن أصمد النظر إلى عينيها !

لقد دفعتها إلى السرور وإلى الحياة ... مستعينا في ذلك بإرادتي وقوتي ورقتي !

وحلتها العاصفة

فإلى شهر مضى كان عهدي بها تقص علي ما عملته وما علمته، أما الآن فقد غدت كلماتها عابرة مفتعلة حتى لتثلج القلب . إنها أصبحت تنهي حديثها على وجه السرعة ... ولا تقول لي إلا ما تريد أن تقوله حسب !

إن فكرها شارد في مكان آخر

ويشتد به اليأس فيقول :

« إني لأتصور القوم الآن وهم يعتبرونها أرملة ... وأنهم لم يعودوا بعد يحدثونها عني ... كأنني عدمت النفس ... وفارقت الحياة . من الذي تحبه ؟ من سلبني قلبها ؟ وأي شؤم طالعني به وجه هذا الحلم ؟ أو ما كان ينبغي أن تكون أفضل من سولها، وأن تضع في اعتبارها أنني أحبها إلى حد الهوس والجنون ... وأنني عاجز عن حماية نفسي بينما أن غريمي في حبها سالم من مثل النكبة التي حلت بي ... وأن تكون فوستين من رقة القلب وشفافية الشعور بحيث تدعني أموت في سلام »

. . ولكن حياة بلينق لم تعرف السلام فكذلك ينبغي أن يكون مماته .

إنه يأمر الخادم بأن يذهب به إلى غرفة زوجه . . وثمة يجد رسالة لم تفرغ بعد فوستين من كتابتها إلى عشيقها

وتتراقص أمام عينيه هذه الكلمات :

« إنك لتسبب لي يا عزيزي ألما لا ينقض عندما تسخط هكذا ظلما على القدر ، أو لم تظفر بكامل حبي ؟ . ما قيمة بضعة أشهر من الانتظار بالقياس إلى حبيبين قطعا على نفسيهما العهد بأن يكون أحدهما للآخر . . ولا تزال أمامهما سنوات . . وسنوات . . من السعادة » .

أم تراك تمد توددك إلي — هذا التودد الذي أسرني — وقتا مضيئا ؟ .

. . ويتحامل بلينق التعس على نفسه ويخط هذه الكلمات في أسفل الرسالة :

« وداعا يا فوستين . . . وإني لأصفح عنك . . ما دامت أوفر سعادة معه . »

إن عينيه كانت لا تزال قوية على استعمال النصل الذي أهدته إليه فوستين.. وهكذا سقط على الأرض مضرجا بدمائه، متأثرا بغدر المرأة التي طالما زعمت له أنها « إنما تعيش من أجله وأنها « لن تمنح نفسها بعده لأحد غير الله ! »

كمال رستم